البعد الدينى
للصراع العربى الإسرائيلى

تأليف

أ.د. محمد خليفة حسن

الطبعة الثانية

٢٠٠٥

سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية

يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة

تحت إشراف : أ.د / زين العابدين محمود أبو خضرة

* الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر كتابها ولاتعبر بالضرورة عن رأى المركز

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د علي عبد الرحمن يوسف

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د عبد الله التطاوي

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

المحتويات

مقدمـــة:

لاشك فى أن مشكلة الصراع العربى – الإسرائيلى قد غلب عليها خـــلال العقود الأخيرة الطابع السياسى العسكرى ، وذلك على حساب عـــدة أبعـــاد أخرى مهمة مثل الأبعاد الدينية والثقافية والاقتصادية ، وكـــان هـــذا أمـــرا طبيعيا فى فترة كانت الكلمة فيها للسياسة والدبلوماسية فى معظم الأحيـــان ، وللحرب فى بعض الأحيان الأخرى ، وقد شهدت المنطقة عددا من الحـــروب الكبرى والصغرى كان آخرها حرب اكتوبر المجيدة ١٩٧٣ والتـــى وصفـــت بأنها آخر الحروب ، وقد دخلت المنطقة بعدها فى مرحلة جديـــدة تمامـــا ، وهى مرحلة المفاوضات من أجل تحقيق السلام.

وخلال هذه المرحلة الجديدة بدأت تظهر بعض الأبعاد الأخرى للصـــراع من بينها البعد الاقتصادى والذى لم يكن له وجـــود ســـابق فـــى المرحلـــة السياسية والعسكرية وذلك لأن القرار السياسى العربى اعتمد على المقاطعـــة الاقتصادية لإسرائيل ونفذها بشكل قوى وحاسم حتى قيـــام حـــرب أكتوبـــر ١٩٧٣م.

ومع الدخول فى مفاوضات السلام ظهرت الورقة الاقتصادية للالتفـــاف حول المشاكل السياسية المعلقة والنظر إلى الاقتصاد على أنه يمثل الطريـــق الحقيقى لتحقيق السلام ، ودعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقـــد عـــدد من المؤتمرات الاقتصادية التى تجمع شعوب المنطقـــة مـــن أجـــل تحقيـــق التعاون الاقتصادى بينها وقبل أن يتم حل المشاكل السياســـية عـــن طريـــق المفاوضات.

ولأن هذا الوضع لم يكن منطقيا فقد رفضته معظـــم شــعوب الشــرق الأوسط ، وسقطت كل المؤتمرات الاقتصادية وكان آخرها مؤتمر قطر ، ولــم تنجح هذه المؤتمرات بسبب اليقظة العربية والمصرية على وجــه التحديــد والتى أدركت مبكرا أن التعاون الاقتصادى هو بمثابة تطبيع سياسى يحقــق لإسرائيل مكاسب سياسية واقتصادية على حساب حل المشاكل الحقيقية مــع العرب والفلسطينيين ، وظهرت مشروعات اقتصادية روجت لــها إســرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، وأهمها مشروع الســوق الشــرق أوســطية وهدفه دمج إسرائيل فى المنطقة دمجا اقتصاديا ، وتمكينـــها مــن تحقيــق هيمنه اقتصادية بفضل امكانياتها الصناعية والتكنولوجية المتقدمة ، وتحويل الشرق الأوسط إلى سوق للمنتج الإسرائيلى والانتقال من مرحلـــة التفــوق العسكرى فى وقت الحرب إلى التفوق الاقتصادى فى وقت الســلم والحــرب معا ، ووضع كل من شمعون بيريز وبنيامين نيتانياهو مشـــروعا اقتصاديــا للمنطقة يحمل فى طياته كل أشكال الهيمنة الاقتصادية فضــلا عــن الأبعــاد الثقافية لهذه المشروعات بما تحققه لإسرائيل من اختراق ثقـــافى وتحقيــق مايسمى بثقافة السلام ووضع نهاية لما يسمى بثقافة الصراع فـــى الوقــت الذى تظل فيه المشاكل السياسية بدون علاج حقيقى.

وفى هذا الكتاب معالجة للبعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ، وهــو بعد خطير ومهم فى الصراع فى الشرق الأوسط وهو على الرغم من أنه بعــد قديم لكنه لم يظهر إلا بعد الدخول فى مرحلة المفاوضات ومأأتت بـــه مــن حالة سلم نسبية ، ونهاية للحروب أدت إلى بروز هذا البعد الدينى وبخاصــة على الساحة الإسرائيلية التى تزخر الآن بكل أشكال الصراع الدينى والتـــى

سيكون لها تأثيرها الكبير على مجريات الأمور ، وعلـى مسـتقبل العمليـة السلمية.

ومن أهم الموضوعات الدينية التى يعالجها هذا الكتاب موقف الأصوليـة اليهودية من العرب والإسلام ، وهو موقف ثابت لايتغير لأنه ينطلـق مـن موقف يهودى تقليدى مرتبط بخلفية دينية تاريخية فى علاقة اليهود بالأديـان عموما ، وبالإسلام تحديدا ، وقد تطور إلى جانب هـذا الموقـف اليـهودى التقليدى موقف يهودى حديث ومعاصر يتصف أيضا بالسلبية تجـاه العـرب والمسلمين ، وقد ساهم فـى تطويـره المستشـرقون اليـهود والصهاينـة والمستشرقون الإسرائيليون ، وقد تبنى هذا الموقف الجديـد فكـرة ربـط الإسلام بالعنف والإرهاب ، وترويج فكرة أن الإسلام يمثل خطرا على العـالم العربى ، وحضارة الإسلام تمثل خطرا وتهديدا للحضارة الغربية وذلـك فـى أكبر عملية تشويه للإسلام وحضارته فى التاريخ.

ويناقش الكتاب مشكلة الأصولية اليهودية وتوظيفها للنصوص الدينيـة المقدسة فى الديانة اليهودية كتبرير للتطرف الدينى والعنف والعدوان ، وقـد تمت الإشارة إلى عدة نصوص دينية توراتيـة تـم اسـتخدامها بواسـطة الأصولية اليهودية لتبرير أعمال الاحتلال والاستيطان والإبادة الشاملة وعلى أساس من فكر قومى عنصرى متطرف وموقف تجاه الأرض يستمد أصولـه من نصوص توراتية تم من خلالها تفسير العهد مع الرب تفسيرا قوميا علـى أنه وعد بالأرض وتبنى الأحزاب الدينية المتطرفـة فكـرة أرض إسـرائيل التوراتية وتشجيع الاستيطان والتوسع ، ومن أهم الأمثلة على توظيف هـذه النصوص ماثار مؤخرا من استخدام لنصوص البقرة الحمراء فـى التـوراة

وتوظيفها فى سبيل إعادة بناء الهيكل ودعم سياسة التطرف الساعية إلى تدمير المسجد الأقصى وبناء مايسمى بالهيكل الثالث مكانه.

ويتناول الموضوع الدينى الثالث ظاهرة تصاعد دور اليمين الدينى اليهودى المتطرف فى الجيش الإسرائيلى ، وذلك من خلال تجنيد الحريديم وهم اليهود المتشددون دينيا ، وتوضيح خطورة تجنيد الحريديم بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى من ناحية وبالنسبة للعملية السلمية والعلاقة مع العرب والفلسطينيين من ناحية أخرى.

وتتضح خطورة الحريديم فى عدم التزامهم بالقانون وميلهم إلى العنف والعدوان ، وعدم خضوعهم لغير المرجعية الدينية الخاصة بهم ، وعدم قدرة الحاخامات والقيادات العسكرية على السيطرة عليهم ، ووجودهم فى الجيش مهدد للعملية السلمية بسبب رفضهم الأيدولوجى للسلام باعتباره مؤديا إلى وقف الاستيطان وبالتالى فهو عقبه أساسية فى طريق تحقيق أرض إسرائيل التوراتية.

وبالإضافة إلى تجنيد الحريديم هناك ظاهرة تجنيد طلاب المعاهد الدينية اليهودية ، وتجنيد الفتيات المتدينات الأمر الذى يؤدى الى تصاعد دور اليمين الدينى المتطرف فى الجيش وتوجيه الجيش لخدمة أهداف هذا اليمين الدينى وأيديولوجيته المتطرفة فى عدائها للعرب والفلسطينيين.

أما القضية الدينية الرابعة التى يعالجها هذا الكتاب فهى قضية الصراع الدينى العلمانى فى إسرائيل وتأثيرها فى العملية السلمية . ويوصف هذا

الصراع بأنه حرب ثقافية دائرة داخل المجتمع الاسرائيلى وهى أشد خطـورة من الحرب مع العرب والفلسطينيين ، ولذلك فهى مهددة لاستقرار إسـرائيل من ناحية ، ومهددة للسلام من ناحية أخرى.

ويناقش هذا البحث تاريخ نشأة الصراع الدينى العلمانى ، وتطوره فـى الفترة الأخيرة ، وانعكاساته السلبية على المجتمع الاسرائيلى حيث أصبـح المجتمع المتدين أشبه بدولة داخل إسرائيل العلمانية.

والموضوع الخـامس فى هذه الدراسة يتناول وضع القدس في الصراع الدينى ، والأبعاد الدينية لقضية القدس باعتبارها قضية مستقلة داخل إطـار الصراع العربى الإسرائيلى . والصراع على القدس صراع سياسى كما أنـه صراع دينى . وتسعى إسرائيل إلى إكمال تهويد القدس قبـل الدخـول فـى المفاوضات السياسية الخاصة بها ، وبتهويد المدينة ستتحول القضية الـى قضية دينية فى المقام الأول سيكون الصراع فيها ليـس بيـن إسـرائيليين وعرب ولكن بين يهود ومسلمين وذلك بسبب قداسة المدينة عند المسـلمين ومكانتها الدينية الخاصة عندهم . ويتناول المقال مسـتقبل الصـراع حـول القدس وإمكانية قيام انتفاضة فلسطينية بل وربما حرب عربيـة إسـرائيلية بسبب القدس . والخلاف الحاد حولها فى نهاية مسار المفاوضات قد يكـون مدمرا للعملية السلمية ومقوضا لكل ما تم الوصول اليـه علـى المسـارين المصرى والأردنى ، وما سيتم الوصول اليـه علـى المسـارين السـورى واللبنانى فضلا عن المسار الفلسطينى ، وبخاصة مـع الإصـرار اليـهودى الإسرائيلى على اعتبار القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل.

الفصل الأول

موقف الأصولية اليهودية من الإسلام

يتراوح الموقف اليهودى من الاسلام بين السلبية والايجابية . فهناك موقف يهودى تقليدى سلبى عام مرتبط بخلفية تاريخية دينية فى علاقة اليهودية بالأديان على وجه العموم وبالإسلام على وجه التحديد. وقد تطور إلى جانب هذا الموقف التقليدى السلبى موقف يهودى حديث ومعاصر ساهم المستشرقون اليهود والصهاينة والإسرائيليون فى تطويره ، وهو امتداد للموقف التقليدى السلبى مع التركيز على بعض الأمور المعاصرة التى أثرت فى تشكيل العلاقات اليهودية الإسلامية فى العصر الحديث. وهذا التطور أضاف أبعادا جديدة لم تكن موجودة فى ماضى هذه العلاقات ومنها البعد الخاص بالربط بين الإسلام والعنف والإرهاب والربط بين الإسلام وظاهرة "الأصولية" الدينية ، وأيضا النظر إلى الإسلام على أنه يمثل التهديد الجديد للحضارة الغربية ، ووصفه فى كثير من الكتابات اليهودية المعاصرة بأنه العدو الجديد للغرب وللحضارة الغربية.

وإلى جانب هذا الموقف اليهودى السلبى من الإسلام قديما وحديثا تطور موقف يهودى آخر يمكن وصفه بالإيجابية لأنه موقف يحترم الإسلام كدين ، ويعترف بدوره فى الحضارة الإنسانية ، بل ويقتدى بالإسلام وحضارته فى تطوير اليهودية والارتقاء بها. وللأسف الشديد أن هذا الاتجاه أو الموقف الإيجابى حاولت الصهيونية الحديثة طمسه وتشويهه والتعتيم عليه الأمر الذى أدى فى النهاية الى قطع الصلة التاريخية والدينية والحضارية بين الإسلام واليهودية. وقد نجحت الصهيونية فى لإفساد

العلاقات الإيجابية بين العرب واليهود عبر التاريخ وحولت الإسلام والمسلمين الى أعداء لليهودية ولليهود ، بل وإلى أعداء للغرب وحضارته.

الموقف اليهودى التقليدى تجاه الإسلام:

يتحكم فى هذا الموقف اليهودى التقليدى السلبى تجاه الإسلام أمران:

الأول : يختص بطبيعة العلاقة بين اليهود والأديان الأخرى ، وما تمخض عن هذه العلاقة من توتر فى علاقة اليهود بغير اليهود.

والثانى: يختص بالخلفية التاريخية والدينية المرتبطة بظهور الإسلام وتطور موقف يهودى تقليدى سلبى من الإسلام . أما الأمر الأول فهو يرتبط بخصوصية اليهودية كديانة ، وكونها ديانة خاصة لجماعة خاصة ، لها إلهها الخاص بها والذى ارتبطت به فى رباط عضوى من خلال عهد مقطوع بينه وبين جماعته . وهو عهد مشروط بتخصيص العبادة لهذا الإله الواحد من بين كل الآلهة الأخرى (بما يعنى الاعتراف الضمنى بتعدد الآلهة) وتعهد الإله الواحد بحماية جماعته ، ورعايتها ، ومحاربة أعدائها ، وأصبح هذا العهد عهدا قوميا يربط الإله بالجماعة والجماعة بالإله . وتطور عن عقد العهد عقيدة الاختيار الإلهى ، واعتبار العهد جامعا لليهود مانعا لغيرهم . وقد نتج عن هذا تقسيم للبشرية إلى يهود وغير يهود ، يطلق عليهم "الأغيار أو الأجانب" أو "الجوييم" أو "الأدناس" فى مقابل اعتبار اليهود الأطهار أصحاب الدم النقى (١).

وهذا التصنيف للبشرية تصنيف عرقى مبنى على أساس من تفسير عنصرى لمفاهيم الاختيار الإلهى والعهد والخلاص . ونتيجة لهذا الموقف من البشرية فرضت اليهودية العزلة على اليهود وعدم التعامل مع غير اليهودى ، وتطور شكل للحياة اليهودية يقوم على أساس من حياة العزلة

وعدم الاندماج والجيتوية التى عززت كراهية اليـــهود للأغيـــار ، وولـــدت عندهم الشعور بالتميز الدينى ، والذى تحول إلى تميز عرقى عنصـــرى أدى إلى تطور الموقف السلبى العام من البشرية ككل.

أما الأمر الثانى فيتعلق بالخلفية التاريخية والدينيـــة لظـــهور الإســـلام وتطور موقف يهودى سلبى من الدين الجديد . فقد ظهر الإسلام ثم انتشـــر فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، وهى منطقة مسيحية تحولت إلى الاســـلام وأصبحت تابعة للعالم الاسلامى بعد أن كـــانت تابعـــة للعـــالم المســـيحى ، وأصبحت الأقليات اليهودية فى فلسطين والعراق ومصر والشمال الأفريقـــى وفارس وغيرها تابعة للحكومة الاسلامية . هذا الوضع التاريخى الدينى أثـــار كراهية اليهود للإسلام وبخاصة بعد أن اكتشفوا أن الديـــن الاســـلامى ديـــن منافس لليهودية والمسيحية وليس مجرد قوة سياسية وعسكرية ، ولكنه فى المقام الأول قوة دينية غالبة وذات سيادة ، وقادرة علـــى احتـــواء اليـــهود والمسيحيين تحت سلطانها السياسى والدينى مع إيمان راسخ بحرية التديـــن والعبادة على أساس من تسامح دينى أصيل مع "أهل الكتاب" الذين أصبحـــوا "أهل ذمة" فى الإسلام.

هذا الموقف التاريخى الدينى طور موقفا يهوديا ســـلبيا تجـــاه الديـــن الإسلامى ، وسرعان ما انعكس هذا الموقف فى عملية جدل دينى مســـموح به فى ظل حضارة إسلامية تؤمن بحرية التدين والتعبـــير وتـــأخذ بـــالحوار الدينى وتشجعه استنادا إلى الاعتقاد الراسخ فى عقلانية الإســـلام وقدرتـــه على الحوار والجدل مع اليهودية والمسيحية . وقد تطورت رؤيـــة فكريـــة دينية سلبية تجاه الإسلام حيث اعتبر اليهود الإسلام دينا متأثرا باليهوديـــة وصادرا عنها بعد ملاحظة وجوه التشابه الواضحة بين دينهم والإسلام ، فتم

تطوير نظرية الأصل اليهودى للإسلام (٢) ، وهى نظرية اعتمدت على التشابه الظاهرى دون التعمق فى حقيقة الإسلام وجوهره ودون إعطاء اعتبار للنقد الإسلامى لليهودية وللنظرية الإسلامية الخاصة بتحريف اليهودية وتحريف توراتها وكتبها المقدسة ، وخروجها على التوحيد الصحيح من خلال الاعتقاد فى خصوصية الإله وخصوصية علاقته بجماعة الأمر الذى أدى إلى الاعتراف بتعدد الآلهة ووجود آلهة أخرى للشعوب الأخرى ، وتخصيص الإله الواحد لإسرائيل فأصبح يسمى "إله إسرائيل".

وتمتد هذه النظرة اليهودية التقليدية السلبية إلى القرآن الكريم فتعتبره كتابا إنسانيا كتبه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه استمد مادته من التوراة والتلمود وغيرها من المصادر اليهودية المقدسة صارفين النظر عن النقد القرآنى للتوراة والديانة اليهودية ولليهود وللأخلاقيات اليهودية . وذهب بعض علماء اليهود إلى عتبار الإسلام مجرد فرقة يهودية منشقة ، أو هرطقة من الهرطقات الكثيرة المنبثقة من اليهودية ، أو غير ذلك مـ وسائل احتواء الإسلام داخل اليهودية ، واعتباره انحرافا عن اليهودية وخروجا عليها.

أدى هذا الموقف التاريخى والدينى إلى نشأة المئات من الشبه اليهودية حول الاسلام طورها قديما علماء اليهودية فى جدلهم ضد الإسلام ودفاعهم عن اليهودية . واستعان بها المستشرقون اليهود فى العصر الحديث لمواصلة الهجوم على الإسلام ، وتقويض أصالته كدين مستقل عن اليهودية، ومحاولة ربطه باليهودية على مستوى العقيدة والشريعة . وقد طور اليهود عملية اختراق دينى وفكرى للإسلام تمخضت قديما عن ظهور

جسم غريب فى بعض كتب التفسير القرآنى وكتب التاريخ الإسلامى . وعرف هذا الجسم الغريب اصطلاحا بإسم "الإسرائيليات" . وهو مصطلح يشير إلى المادة والأفكار الإسرائيلية التى تسربت إلى بعض كتب التفسير والتاريخ قديما (٣) . وهكذا تطورت رؤية يهودية تقليدية سلبية تجاه الإسلام تعتبره دينا مأخوذا عن اليهودية وليس أصيلا ، وصلته باليهودية صلة البنت بالأم ، وأنه بمثابة فرقة يهودية دينية . وهو عند بعضهم دين تلفيقى بمعنى أنه لفق بعض العقائد والمفاهيم الدينية الموجودة فى عدة أديان سابقة وكون منها دينا جديدا . واعتبر الإسلام – رغم هذا التلفيق – دينا منافسا لليهودية وخطرا عليها ، وبخاصة لأنه يملك رؤية نقدية متكاملة لليهودية وللديانات التوحيدية السابقة عليه . وبهذا يصبح الاسلام دينا معاديا يجب تطوير الهجوم ضده من أجل تقويضه . واتخذ هذا الهجوم شكل الشبهات التى تثار حوله للتقليل من شأنه ولصد اليهود عنه وإبعادهم عن تأثيره ، ومنع التحول اليهودى إليه.

الموقف اليهودى الحديث من الإسلام:

يعتبر الموقف اليهودى الحديث من الإسلام امتدادا وتطويرا للموقف التقليدى السلبى . فالموقف الدينى اليهودى القديم لم يتغير على الرغم من استقرار العلاقات اليهودية الإسلامية فى العصر الوسيط ، وعلى الرغم أيضا من الاستفادة التى حققها اليهود من الإسلام دينا وحضارة (٤).

وقد تأثر الموقف اليهودى الحديث من الإسلام بعدة عوامل مهمة ساهمت فى تطوير الموقف الغربى عموما والموقف اليهودى على وجه الخصوص . ومن أهم هذه العوامل:

١ - ظهور العلمانية وانتشار الإلحاد فى الغرب منذ عصر النهضة الأوربية ولعوامل أوربية داخلية ، منها ما يتعلق بالصراع بين الدين والدولة ، أو ما يسمى بالصراع بين البابوية والإمبراطورية، أو السلطة الدينية والسلطة الدنيوية . وقد انتهى هذا الصراع لصالح الفصل بين السلطتين وانتصار العقل ، والفصل بين العلم والدين ، واعتبار العقل المصدر الأول والأساسى للمعرفة . ونظرا لعدم قدرة اليهودية والمسيحية على الوقوف أمام التحدى العقلى وخضوع الدين فى النهاية للتحليل والنقد العقلى انتشرت موجة العلمانية ، ونتج عنها موقف سلبى رافض للدين عموما أو على الأقل فصل بينه وبين الحياة ، واعتبر الدين أمرا شخصيا ومجرد عبادة ليس لها دور فى تشكيل الحياة الإنسانية العامة . ونظرا لأن الاسلام كان بعيدا عن هذا التطور الخاص بالفكر الدينى فى الغرب ولأنه أحدث توازنا بين الدين والدنيا فقد أصبح الإسلام موضوعا للرفض الغربى وعدم القبول ، بل واعتبر صورة للتخلف عن التطور العقلى الذى أصاب الغرب بعد أن ابتعد عن الدين ، ووصل الأمر إلى حد اعتبار الدين سبب تخلف المسلمين العلمى فى العصر الحديث . وهى جميعا إسقاطات باطلة للوضع الغربى على العالم الإسلامى دون مراعاة لاختلاف العالمين بعد انتشار العلمانية الغربية الرافضة للدين . هذا الرفض الغربى للدين امتد الى رفض الإسلام واعتباره خطرا على العلمانية الغربية وحضارتها اللادينية.

٢ - ظهور الشيوعية فى الغرب وعلى وجه الخصوص فى شرق أوروبا، وانتشار الفكر الشيوعى والاشتراكى فى البلدان الأوربية

منذ مطلع القرن العشرين . وتشترك الشيوعية والاشتراكية مع العلمانية فى رفض الدين ، وبهذا أضيف إلى الفكر الدينى فى الغرب جناح جديد رافض للدين . وقد تطرف فى موقفه الرافض للدين إلى درجة عدم قبول مبدأ الفصل بين الدين والدولة من منطلق الرفض التام للدين الذى اعتبر "أفيون الشعوب" . ولاشك فى أن يهود أوربا لعبوا دورا عظيما فى تطوير العلمانية والشيوعية والاشتراكية والإلحاد وغيرها من المذاهب الرافضة للدين ، وانضموا إلى الغرب فى رؤيته العامة الرافضة للإسلام كدين فى ظل انتصار العلمانية والإلحاد ، والساعية إلى فرض العلمانية والشيوعية على العالم الإسلامى.

٣ - ظهور الصهيونية فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى كمشروع قومى يهودى يسعى إلى إنشاء ما يسمى بالوطن القومى لليهود ، ونجاح الحركة الصهيونية بعد قرن من ظهورها فى تحقيق هدفها بعد عملية توظيف للجهود اليهودية وممارسة للضغوط على الدول الأوربية والولايات المتحدة الامريكية ، واستخدام سياسة الإرهاب والعنف من خلال العصابات الصهيونية لحمل اليهود على الهجرة إلى فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على الأرض العربية الإسلامية . وقد تم استغلال الدين اليهودى استغلالا صهيونيا لإشعال الحماس القومى اليهودى ، ولإعطاء المشروع الصهيونى فى فلسطين العربية المسلمة صبغة دينية (٥).

ومما لاشك فيه أن هذا الاستغلال الصهيونى للدين أدى الـــى زيادة حدة الكراهية للإسلام والمسلمين ، وأضيف بعد دينى للصراع السياسى فى منطقة الشرق الأوسط وبخاصة لدى الأطراف اليهودية اليمينية المتشددة دينيا والتى آمنت بفكرة الأرض التوراتيـــة "أرض إسرائيل" الممتدة من الفرات إلى النيل حسب المفهوم التوراتى (٦).

وقد امتد الصراع فى الشرق الاوسط بعد قيام إسرائيل ودخلت المنطقة فى عدة حروب كبيرة ازداد فيها الموقف اليهودى عـــداوة ضد الإسلام رغم أن الصراع فى الشرق الاوسط ظل صراعا سياسيا عسكريا . والسبب فى ذلك هو استغلال الصهيونية للدين اليـــهودى والتلاعب بالمشاعر الدينية اليهودية ، وتصوير الصهيونية نفســـها فى صورة الحركة المحققة للخلاص اليهودى.

٤ - تطور الأصوليات الدينية المعاصرة ومن أهمها الأصولية اليهوديـــة والمسيحية التى اعتمدت العنف والإرهاب والتطرف كوسائل لتحقيق الأهداف السياسية . وللأصولية اليهودية والمسيحية الغربيـــة دور كبير فى تقوية مشاعر الكراهية للإسلام والمسلمين . وقـــد التقـــت الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية على هدف واحـــد هـــو جمع الشتات اليهودى فى فلسطين تحقيقا لمزاعم دينية عقيدية عنـــد الأصولية المسيحية ، وأهمها الزعم بأن أحد شروط القدوم الثـــانى للمسيح عليه السلام هو تحقيق جمع الشتات اليهودى فى فلســطين. وهو زعم دينى استغلته الأصوليـــة الدينيـــة اليهوديـــة والجنـــاح الصهيونى الدينى استغلالا جيدا لتحقيق هدفيـــن أساســيين : الأول

جمع اليهود فى فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية فيــــها ، والثــانى زيادة حدة الكراهية الدينية للإســــلام عنــد اليــهود والمســيحيين الغربيين على السواء.

الصورة اليهودية للإسلام فى الوقت الحالى:

نتيجة لهذه العوامل السابقة الذكر تطورت صورة يهوديـــة معــاصرة عــن الإسلام نجح اليهود والصهاينة فى نشرها فى الغرب مستغلين وســائل الإعلام الغربية ، ويمكن تلخيص هذه الصورة فيما يلى:

١ - الإسلام دين العنف والإرهاب:

هذه إحدى الصور الخاطئة المعاصرة التى طورها الإعلام الصهيونى عن الإسلام حيث ربط الإرهاب والعنف بالإسلام فى محاولة حديثــة لتشويه صورة الإسلام فى الغرب ، وتوظيــف الدوائــر السياســية والعسكرية فى الغرب لمواجهة الإسلام ومحاربته كمصدر للإرهــاب. وقد نجحت الصهيونية فى تحديد موقف الغرب من الإســلام علــى أساس من هذه الصورة الخاطئة ، وتــم تصنيــف بعــض البــلاد الإسلامية كبلاد داعمة للإرهاب ومشجعة له.

وهذا الربط بين الاسلام والارهاب ربط مقصود من أجل توجيــه السياسات الغربية ضد العالم الاسلامى ، وذلك علــى الرغــم مــن الحقائق التالية:

أ - أن ظاهرة الإرهاب ظاهرة عالمية وعلى الرغم من وجـــود حركات دينية تمارس الإرهاب فإن أحدا لم يربط المســيحية بالارهاب أو اليهودية بالإرهاب باعتبار أن الأديان عمومـــا تسعى إلى تحقيق سعادة البشرية وتحاول تحقيق الصلة بين الإنسان والله . ومن ثم فلاتوجد علاقة للأديان بأية وســائل عنف أو إكراه أو إرهاب لأن هذه الوسائل ضــد المبــادىء الدينية الصحيحة . الإسلام فقط تم ربطه بالإرهاب من بيــن كل الأديان وذلك من أجل حمل الغرب علــى الدخــول فــى مواجهة سياسية وعسكرية ضد المسلمين ، ورغبـــة فــى تشويه الدين الاسلامى ومقاومة نفوذه فى العالم.

ب - أن المقاومة الفلسطينية واللبنانية والعربية عمومـــا ضــد الاحتلال الإسرائيلى وعمليات الاستيطان والتــهويد ليســت عمليات إرهابية كما يصورها الصهاينة فى مغالطة واضحــة وصريحة وقلب للموازين والمبادىء ، وتحويــل المقاومــة الشرعية للمحتل والمستوطن إلى إرهاب.

ج - أن الإرهاب الموجود على الساحة مرتبط بجماعات تدعـــى الانتماء إلى الإسلام وتسمى نفسها "حركات إسلامية" بينمــا هى مستغلة للإسلام كدين فى سبيل تحقيق مطامع سياســية لاصلة لها بالدين . وهى تفعل مافعلته الصهيونية من قبــل – ولازالت تفعله – من استغلال للدين اليهودى مــن أجــل تحقيق أهداف سياسية . والمحلل لطبيعة هــذه الجماعــات الإسلامية يلاحظ جهلا حقيقيا بالدين الإسلامى ، وخروجـــا واضحا على مبادىء الدين الإسلامى وبخاصة فى مســـائل

تكفير المسلمين والمجتمعات الاسلامية ، والعداء الصريح لأهل الأديان الأخرى وبخاصة لليهود والمسيحيين ، واللجوء إلى العنف والإرهاب كسياسة أو كمبدأ استراتيجي، وعدم الاعتراف بالتعددية الدينية والحزبية ، وغياب التسامح ومعاداة الديموقراطية.

د - أن السلام هو جوهر الإسلام كدين ، ولايمكن أن يتحول هذا الجوهر إلى النقيض ، فيصبح الإسلام مرادفا للإرهاب والعنف ، وترويع الآمنين ، ومعاداة أهل الأديان الأخرى.

٢ - ربط التخلف بالإسلام:

هذه هى الصورة الثانية الخاطئة فى المفهوم اليهودى والغربى عن الإسلام ، وهو استنتاج ساذج توصل إليه الغرب من خلال وسائل الإعلام اليهودى المغرض حيث اعتبر الغرب متقدما بسبب انفصاله عن الدين بل ويفضل رفضه للدين ، واعتبر الشرق متخلفا بسبب تمسكه بالدين والأخلاق.

والحقيقة المعروفة أن الاسلام ليس له علاقة بتخلف المسلمين العلمى. وأن السبب الرئيسى فى تخلف المسلمين علميا هو الاستعمار الحديث الذى أخضع بلاد العالم الإسلامى لفترات متفاوتة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، واستغل موارد العالم الاسلامى لمصالحه الاستعمارية . وبالإضافة إلى الاستعمار تسببت سياسة احتكار التكنولوجيا التى يمارسها الغرب ضد العالم الثالث إلى تخلف المسلمين وغيرهم على المستوى العلمى التكنولوجى.

وهناك دليل تاريخى على أن الإسلام يحض على التقدم العلمى وهـو أن علم الغرب الحديث وحضارته بنى على أسس من علـوم المسـلمين قبـل عصـر النهضة الأوربية ، والتى ترجمت إلى اللغات الأوروبية مـن اللغـة العربية ، وأصبحت أساسا للنهضة الأوروبية وللتقدم العلمى الغربى المستمر حتى الآن ، وفى هذا دليل واضح على أن الدين الإسلامى ليس ضد العلـم ، وعلى أن الإسلام دين العلم والحضارة ، وهذا باعتراف بعض المنصفين مـن علماء الغرب (٧).

٣ - اعتبار الإسلام مهددا للغرب وحضارته:

إن ربط الإسلام بالارهاب واعتباره سببا للتخلف الحضـارى أدى إلـى تطوير نظرية غربية جديدة فى علاقة الغرب بالإسلام ، وهـى أن الإسـلام يمثل تهديدا للغرب والحضارة الغربية وتهديدا للديمقوقراطية إلى آخر هـذه المغالطات والافتراءات ضد الاسلام . ولاشك فى أن الصهيونية المعـاصرة مسئولة عن هذه الصورة الأخيرة مسئولية مباشـرة فـهى التـى ربطـت الإسلام بالإرهاب والعنف "الأصولية" لكى تصل إلى هذه النتيجـة الخطـيرة وهى أن الإسلام مهدد للحضارة الغربية ، بمعنى أن الإسلام ليس إلا بربريـة مطلقة تقف فى وجه الغرب المتحضر المتنور . وقد تطورت نظريات فرعيـة فى ظل هذه النظرية الكبرى منها نظرية صراع الحضارات ، ونظرية العـدو الجديد بعد سقوط الشيوعية كعدو أساسى تمحورحوله الصراع القديـم ، وأن الغرب الآن يدخل فى صراع جديد مع عدو جديد هو الإسـلام الـذى يمثـل الخطر الجديد على الغرب وحضارته بعد سقوط الشيوعية (٨).

ولاشك فى أن هذا التطور الأخير لموقف الغرب من الإسلام بتأثير شديد من الإعلام الصهيونى قد أدى إلى توتر لامثيل له فى العلاقات الغربية الإسلامية عامة ، وفى العلاقات اليهودية الإسلامية على وجه الخصوص . والحقيقة أن هذه الصور التى قدمناها هى التى تتحكم الآن فى تشكيل علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين . ويجب أن نشير فى النهاية إلى أن الصهاينة وظفوا الاستشراق الحديث والمعاصر بكل إمكاناته العلمية وبكل سلطاته التنفيذية للوصول بالعلاقات الغربية الإسلامية إلى هذا الحد من التوتر والعداء والكراهية للمسلمين.

الفصل الثانى

الأصولية اليهودية وتوظيف النصوص الدينية لخدمة التطرف الدينى

يرتبط التطرف الإسرائيلى عادة بالأصولية الدينية اليهودية وباليمين الدينى المتطرف ، وبالصهيونية الدينية على وجه العموم ، وتنتهج هذه الاتجاهات الدينية سياسة العنف تجاه منافسيها فى الداخل وبطبيعة ، الحال تجاه الفلسطينين والعرب عموما.

ففى الداخل تعتبر حادثة اغتيال اسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل السابق علامة فارقة فى تاريخ المجتمع الإسرائيلى ، وفاصلا بين عصرين فى التاريخ الإسرائيلى المعاصر (٩) فهى مؤشر قوى إلى تطور قوة اليمين الدينى المتطرف الذى يتصف بالعنف والعدوانية ليس فقط فى علاقتة بالعرب ولكن أيضا بالنسبة لسياستة الداخلية فهو مستعد للدخول فى صراع سياسى مسلح ضد بقية الاتجاهات الاسرائيلية من أجل تنفيذ سياسته . ويمثل مقتل رابين أول عملية لجوء إلى القوة والعنف لتصفية صراع داخلى بين اليمين الدينى المتطرف والرافض للسلام وبين الاتجاهات السياسية التى اضطرت إلى أن تتخذ موقفا مؤيدا أو متعاطفا مع السلام تحت تأثير الضغوط الداخلية والخارجية . ولاشك فى أن تنامى القوة المتطرفة داخل إسرائيل هو أكبر تهديد يواجه العملية السلمية ، وأصحابها مصدر تهديد مستمر للجماعات المنادية بالسلام . وقد أدى تنامى هذه القوة إلى تهديد السلام وبخاصة بعد مقتل رابين ، وتغير الأوضاع السياسية لصالح اليمين المتطرف ، وخضوع

حكومة الليكود بزعامة نيتانياهو لسلطة اليمين الدينى المتطرف فى الداخل والخارج.

وقد تحالف اليمين الدينى المتطرف فى الداخل مع اليمين الدينى المتطرف بالخارج ، وقد مثل الحاخام مئير كاهانا قبل مقتله قمة هذا التحالف ، وكان كاهانا الأب الروحى للتطرف داخل اسرائيل وخارجها . فهو مؤسس اليمين المتطرف فى الخارج ، وقد مارس الارهاب ضد الفلسطينيين بعد إقامته فى إسرائيل ، وأصبح ممولا ومخططا للعديد من العمليات الارهابية ضد العرب وبشكل مستقل أحيانا عن سلطة الدولة ، وقد أدى مقتله إلى زيادة حدة التطرف والعنف داخل إسرائيل.

أولا : التطرف الإسرائيلى وتوظيف النصوص الدينية لتبرير الاحتلال والاستيطان والإبادة الشاملة:

تقوم رؤية اليمين الدينى المتطرف فى إسرائيل على أساس من فكر قومى وموقف تجاه الأرض يستمد أصوله من التوراة وغيرها من النصوص الدينية . ويقوم هذا الفكر القومى على أساس من تفسير دينى قومى لمفهوم العهد المقطوع بين الرب وجماعة بنى إسرائيل بأنه عهد بالأرض ، الأمر الذى أدى إلى تطور الثالوث المعروف بالرب والشعب والأرض ، ويقوم التحديد الجغرافى للأرض أيضا على أساس من التحديد التوراتى الذى وصف أرض العهد ، أو أرض الميعاد ، بأنها الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات.

وتتبنى الأحزاب اليمينية فى معظمها هذا الفهم وتفسر النصوص الدينية لصالح التأكيد على مايسمى بأرض إسرائيل التوراتية ، وتتبنى أيضا سياسة التوسع والاستيطان لأنها السياسة الوحيدة التى تؤدى إلى تحقيق فكرة "أرض إسرائيل" بحدودها التوراتية.

ويعتبر حزب المفدال (الحزب القومى الدينى) من أهم الأحزاب الاسرائيلية التى تنادى بما يسمى "وحدة التوراة والشعب والأرض" ويتمسك بالمبدأ الأساسى للصهيونية الدينية وهو "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل فى ضوء التوراة" . وفى إطار هذه الأيديولوجية المتطرفة يرفض حزب المفدال فكرة قيام الدولة الفلسطينية ، ولايعترف بأى "كيان أجنبى" بين نهر الأردن والبحر المتوسط ، ويعتبر القدس عاصمة أبدية لاسرائيل ، والاستيطان فى كل أنحاء "أرض إسرائيل" هو أساس للسيطرة والأمن ، ويرفض عودة الأراضى العربية المحتلة إلى العرب ، ويشجع الاستيطان فيها ضمانا لعدم عودتها (١٠).

ولاشك فى أن الأحزاب الدينية تلعب دورا مهما فى ازدياد سلطة الأصولية اليهودية وفى قدرتها على توجيه السياسة الإسرائيلية والزيادة من تطرفها ، وارتباط الأصولية اليهودية بالعنف سيؤدى إلى إذعان الحكومات الاسرائيلية لمطالبها والخضوع لتطرفها ضمانا لاستمرارها فى الحكم ، وقد أشارت الانتخابات الأخيرة التى أتت بنيتانياهو إلى الحكم إلى قوة التيار الدينى المتطرف وتأثيرة السياسى الكبير(١١).

والعودة إلى النصوص الدينية وتوظيفـــها لخدمـــة سياســـة التطـــرف الإسرائيلى من الأمور المعتادة لدى اليمين الدينـــى اليـــهودى المتطـــرف ، والذى تقوم فكرة "أرض إسرائيل" عنده على الأسس التوراتية كما ســـبق ، فالنصوص الدينية تستخدم فى ثنايـــا السياســـة للاســـتدلال توراتيـــا علـــى مشروعية سياسة الاستيطان والتوســـع لتحقيـــق فكـــرة "أرض إســـرائيل" التوراتية . وعادة ماتستند هـــذه السياســـة الإســـرائيلية التوســـعية علـــى النصوص الدينية الواردة فى سفر يشوع وفى سفر التكوين ، فنصوص سفر التكوين تتحدث عن العهد المعطى للأباء الإسرائيليين وهو عـــهد بـــالوفرة والكثرة وبالأرض واستيطانها من خلال سياسة الإرهاب والعنف وعمليـــات الابادة للسكان الأصليين . وهى سياسة تطبقها الصهيونية الدينية المتطرفـــة فى إسرائيل منذ بداية الصراع وحتى الآن.

ومن أهم النصوص المستخدمة فى هذا الخصوص لتبرير سياسة العنف والتطرف النص التالى من سفر يشوع.

"قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيـــها لهم أى لبنى إسرائيل ، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيتـــه كمـــا كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى البحر الكبير نحو مغـــرب الشـــمس يكون تخيمكم لايقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك ، كما كنت مع موســـى أكون معك ... تشدد وتشجع لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفـــت لآبائهم أن أعطيهم" (١٢).

وتجد سياسة الإبادة نصوصا دينية كثيرة تشرعها وتبررها فحروب يشوع كلها اقترنت بعمليات إبادة كاملة لكل ماقابلها من بشر وحيوان ونبات. والمبدأ الأساسى للاستيطان والإبادة الذى تقوم عليه سياسة التطرف الإسرائيلى يستمد أصوله من الأساس الذى أقره سفر التثنية والذى انعكس فى سفرى يشوع والقضاة وغيرهما ، ونص هذا المبدأ يقول : "حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافى المدينة كل غنيمتها فاغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريما .." (١٣).

ولاشك فى أن التطرف الإسرائيلى يطبق هذه المبادىء التوراتية بشكل حرفى ، وهو يستخدم نفس المبررات الدينية ونفس النصوص الدينية لكى يعطى مصداقية لأفعاله وتبريرا لها ، ولكى يعطى مشروعية دينية مبنية على نصوص ، لأعمال الاحتلال والاستيطان والإبادة.

ثانيا : التوظيف السياسى لنصوص البقرة الحمراء لخدمة التطرف:

والمثال الثانى المهم الذى اخترناه لتوضيح سياسة توظيف النصوص الدينية ماتم مؤخرا بواسطة اليمين الدينى المتطرف من استخدام للنص

التوراتى الخاص بالبقرة الحمراء لدعم سياسة التطرف الساعية إلى تدمـــير المسجد الأقصى وبناء مايسمى بالهيكل الثالث مكانه.

فقد ثارت فى السنه الماضية إشاعات قوية فى الأوســـاط الإسـرائيلية واليهودية بظهور بقرة حمراء فى قرية "كفر حسيديم" بالقرب من القـــدس ، وأن هذه البقرة لها مواصفات معينة واردة فى التوراة ، وأنه سيتم الحفـــاظ على هذه البقرة الحمراء لفترة معينة ثم تذبح وتحرق ، ويستخدم رمادها فى التطهير من نجاسة الموتى التى تمنع من دخول الحرم القدسى . ويتبنى هـذا الاعتقاد بعض الحركات الدينية اليهودية المتطرفة التى يتمحـــور تفكيرهـــا حول إعادة بناء الهيكل ، وعلى الرغم من أن البقرة التى ظهرت لم تنطبـــق عليها المواصفات المطلوبة بعد اكتشاف شعرتين فى ذيلها لونهما أبيض فإن الاعتقاد فى ظهور بقرة حمراء تتوفر فيها الشروط لايزال اعتقادا قويا لـــدى هذه الدوائر الدينية اليهودية المتطرفة والتى تستعد لظهور هذه البقرة مـــن خلال تأهيل كهنة أطفال للتعامل مع البقرة بعد اكتشافها أو ظهورها.

أسطورة البقرة الحمراء وعلاقتها بإعادة بناء الهيكل:

وبصرف النظر عن كون البقرة الحمراء أسطورة أم حقيقة فإن هنـــاك مظاهر متعددة فى حياة اليهود المتطرفين دينيا تشير إلـــى إتخـــاذ خطـــوات فعلية للاستعداد لظهور البقرة أو اكتشافها فى المستقبل القريب ، ومن أهـــم هذه المظاهر قيام سكان إحدى المستوطنات الدينية الواقعة شـــرقى القـــدس بتأسيس قرية أطفال كهنة لينشأوا على الطهارة منذ ميلادهم وذلك بعزلـــهم داخل القرية لكى يقوم هؤلاء الأطفال الكهنة مستقبلا بإعداد البقرة الحمـــراء للذبح والحرق واستخدام رمادها للتطهير من نجاســـة الموتـــى . وقـــد تـــم

التخطيط لبناء القرية لتربية الأطفال على أساس من الشـــريعة اليهوديـــة ، وسيتم إسكان الأطفال فى مكان مرتفع عن الأرض يســـمح بمـــرور الـــهواء أسفله ، ولن يسمح للأطفال بمغادرة هذا المكان حتى سن الثالثة عشرة علـــى الأقل ، أو ربما حتى اكتشاف أو ظهور بقرة حمراء جديـــدة ، وقـــد أشـــار الحاخام دافيد البويم – وهو من قيادات حركة بناء المعبد – إلـــى موافقـــة إحدى الأسر على تكريس ابنها الذى سيولد قريبا لتتم تربيته وفقا للشـــريعة واستعدادها لهذا اليوم الذى ستظهر فيه البقرة ، وقد أعلنت أسر أخرى أنـــها تبحث الفكرة ، ويحتاج تنفيذ هذا المخطط إلى مجموعة مـــن نحـــو عشـــرة أطفال ، ويذكر أن إشاعة قوية قد أثيرت منذ عام بميلاد البقرة الحمراء فـــى قرية تدعى "كفر حسيديم" ويقال أن ظهور هذه البقرة أثار الأمل لدى حركـات الحرم القدسى فى إمكانية تغيير فتوى تمنع الإسرائيليين واليهود من دخـــول الحرم القدسى (جبل المعبد) بسبب نجاسة الموتى ، ويستخدم رمـــاد البقـــرة الحمراء بعد حرقها فى التطهير من هذه النجاسة . وقد ضاع هذا الأمل بعـــد اكتشاف أن مواصفات البقرة الحمراء لاتنطبق على هذه البقرة حيـــث تبيـــن وجود شعرتين لونهما أبيض فى ذيل البقرة (١٤).

الوظيفة الشرعية للبقرة الحمراء إذن هى التطهير من "نجاسة الموتى"، والهدف من تكريس بعض أبناء الكهنة من الأسر اليهوديـــة بعـــد ولادتـــهم مباشرة هو إعدادهم من خلال العزلة والطهارة للتعامل مع البقرة الحمـــــراء بعد ظهورها كمرحلة على الطريق إلى الطهارة من نجاسة الموتى . فالكهنـــة الذين تنجسوا بملامسة الموتى لايصلحون للتعامل مـــع البقـــرة الحمـــراء ، وبدون كهنة طاهرين لايمكن إعداد هذه البقرة للحرق ، وإعداد رمادها لـــذرة على من تنجسوا نتيجة الاتصال بالموتى ولمسهم . وهو وصف ينطبق علـــى

كل اليهود الذين لامسوا الميت أو أشياء لامسها الميت ولو لمرة واحدة فـــي حياتهم . ولذلك يحرم عليهم دخول الحرم القدسي "جبل المعبد".

ومن المعروف أن هذا الاعتقاد الخاص بإعداد الكهنة لـــهذه المهمــة المرتبطة بالبقرة الحمراء تبنته حركة "جبل المعبد" التي تنادي بإعادة بنـــاء الهيكل . وتشترك معها في هذا الاعتقاد بعض دوائر حركة كـــاخ ومدرســة "الفكرة اليهودية" الدينية . وقد اتفقوا معا على إقامة القرية الخاصة بتربيــة أبناء الكهنة على قطعة أرض داخل إحدى المستوطنات الدينية بالقدس(١٥).

والدليل على ارتباط هذه الخطة بإعادة بناء الهيكل أن القـــائمين علـــى هذه المهمة من الحركات الدينية اليهودية المذكورة يعتبرون إعداد الكهنـــة الأطفال أمرا ضروريا مرتبطا ببناء الهيكل حيث أنه لايمكـــن بنـــاء الـــهيكل والقائمون على بنائه في حالة نجاسة بسبب ملامسة الموتى حيث أن نجاســة الموتى تمنع استئناف ٩٥% من الأنشطة التي كانت تجـــري فـــي الـــهيكل القديم. ومن هذه الأنشطة تقديم القرابين ودخول الحرم القدســـي . وكـــانت العادة قديما أن من تنجس من الموتى يعتكف ثلاثة أيام لايلمس فيـــها ميتـــا مرة أخرى أو يتعرض لنجاسة الموتى . وفي اليوم الثالث يذرون عليه رمـــاد البقرة الحمراء . وفي اليوم السابع يغطس في حمام شرعي ويصبح طـــاهرا مع نهاية اليوم السابع . ويستدل من التراث الديني اليهودي أن موسى عليه السلام هو أول من تعامل مع بقرة حمراء ، وأن عزرا الكاتب قد تعامل مـــع البقرة الحمراء الثانية ، وأن مجموع البقرات الحمر التي تم التعـــامل معـــها في فترة ما يسمى بالهيكل الثاني بلغ ثماني بقرات . ويعتقد أهل هذا الاعتقاد أنهم في انتظار البقرة العاشرة . ويلاحظ مرور ألف عام على ظهور البقـــرة

الأولى والثانية وهى الفترة الفاصلة بين عصرى موسى عليه السلام وعـزرا الكاتب بمعنى أن رماد بقرة واحدة تم استخدامه لمدة ألف عام ، وذلك بخلـط رماد البقرة بنباتات معينة مع بعض المياه . وقطرة واحدة من هذا المزيـج كافية لوضعها فى حاوية مياه لتصبح مياه الحاوية صالحـة للتطـهر مـن نجاسة الموتى . وفى تخطيط أصحاب هذا الاعتقاد توزيع رماد البقرة الـى أكوام وتوزيع هذه الأكوام فى كل الأماكن لاستخدامه عنـد الضـرورة فـى التطهر من نجاسة الموتى ، أما مياه الطهارة فيعيـن لـها مسـئولون فـى المجلس المحلى أو مجلس البلدية للإشراف على توزيع الميـاه ، أو رشـها فى اليوم الثالث ليتطهر من تنجس فى اليوم السابع (١٦).

والمشكلة الكائنة هى عدم وجود كهنة أطهار لإعداد البقـرة . والحـل لهذه المشكلة هو تربية أبناء الكهنة منذ مولدهم وعزلهم ليكونـوا أطـهارا وليقوموا بعد بلوغهم سن التكليف فى الثالثة عشرة بذبح البقرة وحرقـها ، وتوزيع رمادها ، والقيام بذر هذا الرماد على النجسـين فيتطـهروا حسـب الوصف السابق . والهدف من تربية هؤلاء الأطفال الكهنة فى مكان مرتفـع هو التأكد من عدم ملامستهم للموتى فلا يكونوا تحـت سـطح واحـد مـع الأموات . ومن شروط المكان الصالح لتربيتهم أن يكون مرور الهواء فيـه ممكنا ، كأن يكون هناك معزل هوائى يعزل مكان تربية الأطفال الكهنة عـن الأرض حتى لايحدث تلامس مع الموتى (١٧).

وتبقى مشكلة ظهور البقرة الحمراء . ومنطق القـائمين علـى هـذا العمل هو اعداد الكهنة الأطفال أولا وانتظار ظهور البقـرة الحمـراء ثانيـا خشية أن تدنس البقرة خلال فترة إعداد الكهنة الأطفال ، وهى فـترة ثلاثـة

عشر عاما ، أو أن تموت البقرة خلال هذه المدة . فإعداد الأطفال الكهنة أمر ضرورى قبل ظهور البقرة . وليس مسموحا بزيارة هؤلاء الأطفال إلا لمن تم تغطيسه فى حمام شرعى ، والطعام الذى يأتون به للطفل يجب أن يكون فى أوان خاصة ، كما أنه ليس مسموحا بارتداء ثياب أو الاحتفاظ بأشياء لأن الأدوات تتنجس من الموتى ، وستكون هناك ثياب خاصة لزوار الأطفال الكهنة فى قريتهم ، وهى ثياب لم ينته صنعها ، وهو شرط عدم اعتبارها أداة كما أن أى جهاز لدى الطفل يجب أن يكون به عيب معين لكى يعتبر أداة غير مكتملة (١٨).

وهنك شروط معينة للطفل الكاهن إذ يجب أولا أن يكون خاليا من العيوب . وهناك سبعون نوعا من العيوب التى تجعل الطفل لايصلح كاهنا . وكذلك خلال الأعوام الثلاثة عشرة يجب ألا يتعرض الطفل لما يحدث النجاسة.

وفيما يتعلق بتمويل هذا المشروع يطالب الحاخام ألبويم بتوجيه عشر العشر من المحاصيل الزراعية لخدمة هذا المشروع . وهو القدر الذى كان يقدم للكهنة فى أيام الهيكل ، ويتم حاليا تدميره تحت رعاية الحاخامية الكبرى . ولايرى الحاخام ألبويم قسوة فى عملية عزل الاطفال الكهنة باعتبار المسألة أمرا حيويا واجب النفاذ . ولايرى فى المسألة عزلا فالاطفال متواجدون معا وزيارتهم ممكنة بعد أن يقوم الزائر بالغطس فى حمام شرعى . ويأمل الحاخام ألبويم فى أن تتولى وزارة الأديان الإسرائيلية تنفيذ هذا المشروع . ويتبنى المشروع حاليا حركة "إقامة الهيكل" ، وبعض اليهود

الحريديم ، وبعض المتدينين القوميين ، وكلهم يرى ضرورة تأهيل الكهنـــة وإعدادهم قبل ظهور البقرة.

ومن الملاحظ أن دخول الحرم القدسى هو أحد أسباب الاهتمام الدينـــى بتربية الكهنة الأطفال المعزولين عن كل ما يسبب النجاسة مـــن الموتـــى . والحرم القدسى مقدس عند المسلمين . ولذلك يتوقع الحاخام ألبويم حـــدوث صراع بين المسلمين واليهود المتدينين حول هذا الموضوع . وهـــو يعتـــبر المسألة مسألة ضرورات دينية واجبة لايستطيع المسلمون أن يمنعوهـــا أو أن يقفوا فى طريقها . فالمسألة تخص اليهودية كدين بصرف النظـــر عـــن موقف المسلمين والاسلام (١٨).

التوظيف السياسى للأسطورة الدينية:

يعتبر إثارة مثل هذه الاشاعات الخاصة بوقوع معجزات أمرا متكـــررا أو ظاهرة متكررة عند اليهود حيث تستخدم مثل هـــذه الخرافـــات لتحقيـــق أهداف دينية وسياسية ، وبخاصة عندما يمر اليهود بأزمـــة تاريخيـــة كمـــا حدث فى فترات السبى والشتات والاضطهاد.

ويتفق ظهور هذه الخرافات والأساطير مع طبيعة الديانـــة اليهوديـــة التى من أهم صفاتها أنها ديانة أسطورية تفسر أحـــداث التـــاريخ تفســـيرا أسطوريا ، وتوظيف الأسطورة والخرافة لخدمة الاهداف الدينية والسياســـية. ولذلك تقوم الديانة فى عقائدها على مجموعة من الاساطير مثـــل أســـطورة الاختيار الإلهى لبنى اسرائيل على أساس عرقى ، وأســـطورة نقـــاوة الـــدم اليهودى ، وأسطورة الوعد الالهى بل الوعود الالهية المتكررة والمقطوعـــة

بين الرب والشعب ، واسطورة "أرض الميعاد" المرتبطة بأسطورة العهد لأنه عهد بالأرض ، أو وعد بالأرض لذلك سميت الأرض أرض الميعاد . وهناك أيضا عقيدة المسيح المخلص الذى يعود الى بيت داود ، وله مواصفات بطولية معينة . وقد ظهرت هذه العقيدة بعد سقوط مملكة دواد وسليمان عليهما السلام ، وحددت للمسيح المخلص وظيفة سياسية . وهى إعادة انشاء المملكة فى مستقبل "الأيام" على يد مسيح مخلص له صفات أسطورية يقوم بجمع الشتات اليهودى واعادة بناء الهيكل واعادة إنشاء المملكة.

إن ظهور أسطورة البقرة الحمراء الآن وفى هذا التوقيت له أهداف دينية وسياسية . فالأسطورة هنا وظيفتها إثارة الشعور الدينى والحماس الدينى لدى اليهود ، وتوجيه هذا الحماس الدينى لخدمة هدف تهويد القدس وإتمام عمليات الاستيطان فيها ، وتحقيق هدف جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل . ولايستبعد استخدام اليمين اليهودى المتطرف لهذه الأسطورة من أجل إثارة الاسرائيليين دينيا وحشد مشاعرهم الدينية حتى لاتقدم أية تنازلات للعرب والفلسطينيين فيما يتعلق بالقدس . وذلك لأن الأسطورة مرتبطة باعادة بناء الهيكل وموظفة لهذا الغرض . وتستخدم الأسطورة فى هذا الوقت بالذات لدعم العمل الاستيطانى والسياسة الساعية إلى تخريب المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل فى موقعه ، وإقناع الاسرائيلى واليهودى من خلال الأسطورة بمشروعية العمل السياسى والعسكرى الساعى إلى تهويد القدس ، وتخريب بيت المقدس وتدمير المسجد الاقصى.

ولإقناع الإنسان الاسرائيلى واليهودى بهذه الأسطورة لابد من تأصيلها من التوراة وذلك باستخدام قصة البقرة الحمراء الواردة فى سفر العدد

الإصحاح ١٩ حتى يؤمن الإسرائيلى واليهودى بأن الأسطورة ليست بدعة حديثة ولكن لها أصولها فى التوراة وقد أعيد استخدام الأسطورة الموروثة حتى تناسب الأوضاع الحالية . ولذلك تم تغيير وظيفة الأسطورة فالبقرة فى التوراة استخدمت "كقربان" دينى للتكفير عن الخطايا ، والموضوع ليست له صلة بالهيكل أو بالقدس ، لأن قصة البقرة وقعت على أيام موسى عليه السلام ، ولم يكن للهيكل وجود ، لأن الهيكل منسوب إلى سليمان عليه السلام أى بعد عصر موسى عليه السلام بثلاثة قرون كاملة ويقول النص التوراتى "وكلم الرب موسى وهارون قائلا . هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لاعيب فيها ولم يعل عليها نير فتعطونها لإلعازار الكاهن . إنها ذبيحة خطية"(١٩).

وقد تم تعديل بنية الأسطورة ووظيفتها ، لكى تخدم الأهداف الجديدة الخاصة بالاستيطان وتهويد القدس وإعطاء مشروعية لأعمال العنف والارهاب ولأعمال التخريب فى المسجد الاقصى مثل شق النفق . ومحاولة احراق المسجد الأقصى أكثر من مرة ، والمضايقات للمصلين المسلمين فى المسجد الأقصى الى آخر هذه الأعمال الإسرائيلية والسياسات الخاصة بالقدس والمسجد الأقصى.

وتستخدم الأسطورة أيضا لمقاومة الضغوط السياسية دولية كانت أو محلية ، عربية أو فلسطينية . فالدافع الدينى عادة ما يكون أقوى من الدافع السياسى . وهنا تستخدم الأسطورة كوسيلة للمقاومة ، والوقوف ضد الرأى العام الدولى والعربى بل والرأى العام الإسرائيلى نفسه فالاسطورة دينية لها

صلة بالعقيدة والمشاعر الدينية وباستغلالها يمكن مواجهة الضغوط الدولية والعربية والفلسطينية ، والتمسك على أساس دينى تفرضه الاسطورة بسياسات الاستيطان والتهويد.

ويلاحظ ظهور الأسطورة فى الفترة التى ظهرت فيها مشكلة جبل أبوغنيم ومحاولة تكملة الحزام الاستيطانى حول القدس ونتيجة للضغوط الدولية والعربية يتم اللجوء إلى الاسطورة لتقديم الدعم الدينى للمشروعات الاستيطانية فى جبل ابوغنيم والذى بها يتم اغلاق مدينة القدس لتصبح كل مداخلها ومخارجها يهودية.

يلاحظ أيضا ظهور هذه الاسطورة مع قرب نهاية الألف الثانية بعد الميلاد وبداية دخول الألف الثالثة . ومن المعروف أن التفكير الأسطورى يزدهر وينتشر مع نهاية كل ألفية ، وذلك بما تثيره نهاية كل ألف سنة من تجديد للآمال اليهودية فى قدوم المسيح المخلص ، وقرب جمع الشتات اليهودى وبناء المملكة وإعادة بناء الهيكل . ولهذا فنهاية الألفية بداية لنشاط "مسيحانى" يدور حول ظهور المسيح المخلص . وعادة ما يظهر مدعين أى "مسحاء كذبة" يدعون أنهم المسيح المخلص مع نهاية كل ألفية(٢٠) . وتبلور هذا النشاط "المسيحانى فى ابتداع الأساطير والخرافات حول المسيح المخلص ، وكلها تسعى إلى تحقيق الاهداف السياسية لليهود حيث يسود الاعتقاد فى أن وظيفة المسيح تحقيق الخلاص لليهود من غير اليهود فهو خلاص سياسى فى المقام الأول ، وليس خلاصا دينيا كما هو الحال فى المسيحية حيث وظيفة المسيح وظيفة دينية خالصة.

أسطورة البقرة الحمراء أسطورة حشرية بمعنى أنها تتحدث عن شـــىء سيحدث فى المستقبل أو فى العالم الآخر (عالم الحشر) ويتم استغلالها هنـــا على أرض الواقع لتحقيق أهداف لاعلاقة بها بالدين بـــل مســـتغلة للديــن وللمشاعر الدينية من أجل تحقيق أهداف سياسية خالصة.

ولليهود أساطيرهم المتعددة فى العصر الحديث فليست أسطورة البقـــرة الحمراء هى الأسطورة الوحيدة فقد سبقتها أسطورة المعاداة للسامية وهـــى أسطورة تستغل سياسيا وتظهر دائما فى الأزمات الحقيقيـــة والمفتعلـــة أى عندما يتعرض اليهود لاضطهاد حقيقى أو عندما تظهر شخصية او جماعـــة تمارس أعمالا عدائية ضد اليهود ، ومن بينها الأعمال السياسية المضـــادة للصهيونية وللدولة الاسرائيلية.

وهناك أسطورة الإبادة النازية لليهود وتحديد عدد اليهود الذين أبيـــدوا تحديدا أسطوريا . فالرقم "ستة مليون يهودى" رقم خرافـــى أســـطورى يتـــم دعمه واستغلاله دائما لتحقيق المصالح اليهودية ، وبخاصة فى أوربا وفـــى ألمانيا على وجه التحديد للحصول المستمر على الدعم المالى والتعويضـــات، والدعم السياسى والعسكرى.

وأخيرا تظهر أسطورة البقرة الحمراء فى وقت الأزمة المثـــارة حـــول القدس والتهويد وجبل "أبوغنيم" لتستخدم كوسيلة لإثارة المشـــاعر الدينيـــة لدى الإسرائيليين واليهود عموما ، ولمواجهة الضغوط المختلفـــة والـــرأى العام ، ولتعطى مشروعية دينية لكل أعمال العنف المرتبطة بتهويد القـــدس والاستيطان وتتم المشروعية الدينية من خلال التأصيل الدينـــى للأســـطورة

وذلك بربط اسطورة البقرة الحمراء بالرواية التوراتية الواردة فـــى "ســفر العدد الاصحاح ١٩".

وبهذا الشكل يتم دعم المؤسسة السياسية والعســكرية فــى إســرائيل بالأساطير الدينية التى تعطى مشروعية دينية للأعمال السياسية والعسكرية، ولأعمال التهويد فى القدس ، ولأعمال العنف على وجه العموم فى تلاعـــب واضح وصريح ومقصود بالمشاعر الدينية للإسرائيليين واليهود.

ولاشك فى أن هذه الأسطورة اليهودية الجديدة هى من صناعة اليميـــن اليهودى المتطرف لممارسة الضغوط الدينية على نتنياهو ، ودفعه الى تنفيـذ مخططات اليمين اليهودى الخاصة بالاستيطان والتـــهويد ، واعـــادة بنـــاء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ، وتحويل القدس إلى عاصمـــة أبديـــة لاسرائيل كما هو منصوص عليه فى سياسة الليكود وفى برنامجه السياســى، والأسطورة هنا من المؤثرات الدينية التـــى يســتخدمها اليميـــن المتطــرف لتحقيق أهدافه الاستيطانية عموما وفى القدس على وجه التحديد.

وتتم مواجهة مثل هذا النوع من الأساطير الموظفة سياسيا بدراســـتها وتحليلها ونقدها وتعريف الرأى العام الإسرائيلى بالمغالطات الواضحة فيها ، وبالتغييرات التى طرأت على الرواية التوراتية التى لاعلاقة لها بالـــهيكل أو بالقدس ، وبالتعديل والتحريف الذى أدخل علـــى روايـــة التـــوراة بتغـــير وظيفتها وهى الذبح من أجل التكفير عن الذنب الى الذبح من أجـــل إعـــادة بناء الهيكل ومن الضرورى مخاطبة المتدينين من الإســـرائيليين واليـــهود

وتوضيح التحريف الذى وقع فى استخدام الرواية التوراتية وهـــو تحريـــف بالمعنى ، واستغلال للدين وتلاعب بالنص الدينى وهو التوراة.

ومن الضرورى أيضا مخاطبة الرأى العام المصـــرى والعربـــى الـــذى ذاعت الخرافة بينه وانتشرت خـــلال الشـــهور الماضيـــة وذلـــك لتصحيـــح المعلومات حول هذه الأسطورة . ويمكن هنا الاستعانة بما ورد فى القـــرآن الكريم حول موضوع البقرة ، وتوضيح التحريف والتبديل الذى وقع بالرواية التوراتية نفسها ، وبالاسطورة الحديثة فى نفس الوقت (٢١).

الفصل الثالث

تصاعد دور اليمين الدينى اليهودى المتطرف فى الجيش الإسرائيلى

من المعروف أن اليمين الدينى المتطرف متشدد جدا فيما يتعلق بقضايا السلام ومسيرة العملية السلمية ، ويلعب التدين دورا مهما فى حسم المسائل الخاصة بالاستيطان من ناحية وبالمسيرة السلمية من ناحية أخرى.

ويمكن تقسيم المجتمع الإسرائيلى فيما يتعلق بالموقف من الدين إلى أربع قطاعات:

١ - قطاع المتشددين دينيا.
٢ - قطاع المتدينين.
٣ - قطاع المحافظين.
٤ - قطاع العلمانيين.

وتظهر درجة أثر التدين فى تحديد مستقبل العملية السلمية من خلال استطلاع للرأى تم خلال شهر أغسطس ١٩٩٧م . فقد أجاب المتشددون دينيا بأنه لامستقبل للسلام وللعملية السلمية حيث اعتقد ٢ر٥% من المتشددين باحتمال تحقيق السلام فى المستقبل فى مقابل ٢٧% من العلمانيين بينما اعتقد ٥٠% من المتشددين أن السلام لن يتحقق فى مقابل ١٩% من العلمانيين (٢٢).

ويلاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين التدين والموقف من المسيرة السلمية ، وأن التفاوت الملحوظ فى الرأى العام تجاه السلام تحكمه درجة التدين . ففى نفس الاستطلاع السابق نجد ٨٢% من المحافظين يؤيدون المسيرة السلمية بينما يؤيدها ٧٨% من العلمانيين ثم تنخفض النسبة انخفاضا كبيرا إلى ٤٣% من المتدينين وتنخفض بين المتدينين المتشددين إلى نسبة ٥ر٢٥% ، وهكذا كلما زادت درجة التدين وشدته كلما انخفضت نسبة التأييد للسلام ، وعلى مستوى آخر رفض ٥٤% من المتشددين مسيرة السلام بينما رفضها ٥ر٤٤% من المتدينين فى مقابل ٦ر٨% من المحافظين ونسبة ٥ر٧% فقط من العلمانيين (٢٣).

وبالنسبة لاتفاقية أوسلو أظهر الاستطلاع أنه كلما انخفض مستوى التدين كلما ازدادت نسبة التأييد للاتفاقية ، وكانت النسب على النحو التالى: ٤ر٥٦% من المتشددين ونسبة ٦ر٦٦% من المتدينين ونسبة ٧٩% من المحافظين ونسبة ٥ر٧٨% من العلمانيين . فالجماعات الدينية المتشددة أكثر معارضة لمسيرة السلام ولاتفاقية أوسلو (٢٤).

ويرى المحافظون والعلمانيون أن المتدينين عموما والمتشددين خصوصا يرون أن "أرض إسرائيل كاملة" أكثر أهمية لدى المتشددين منها لدى المحافظين والعلمانيين وكانت النسب ٤ر٦٢% للمحافظين ونسبة ٦ر٨٦% للعلمانيين بينما جاءت إجابات المتشددين على غير المتوقع بنسبة ٤ر٥٥% ، وهناك أغلبية ساحقة تعتقد أن أرض إسرائيل الكاملة "أكثر أهمية بالنسبة للمتدينين منها للعلمانيين (٢٥).

وفى سؤال عن الاستعداد للتضحية من أجل الدولة اتضح أن المتدينين أكثر استعدادا لذلك من العلمانيين.

وبالنسبة للسؤال عن : هل عرفت إرهابى ؟
أجاب ٥ر٦٨% من المتدينين بأنه إرهابى بينما اعتقد ٧٩% من المتشددين أنه إرهابى فى مقابل ٥٢% للمحافظين و ٣١% للعلمانيين (٢٦).

أولا : تجنيد الحريديم:

على الرغم من أن الكثيرين يرون فى تجنيد الحريديم (٢٧) مظهرا من مظاهر المساواة والعدالة وتقليل الفجوة الاجتماعية وتحقيق المصالحة الوطنية لكن يبدو أن هناك أسبابا سلبية أدت إلى تبلور فكرة تجنيد الحريديم. ومن أهم هذه الأسباب السلبية الشغب الذى يثيره شباب الحريديم داخل المجتمع الإسرائيلى ، والازعاج المستمر الذى يسببونه لليهود التقليديين ، فمنذ فترة قام عدد من شباب الحريديم بأعمال الشغب فى مدينة القدس وفى ساحة المسجد الأقصى وعند حائط المبكى عندما أتوا للصلاة . وقاموا أيضا فى الأحياء السكنية العربية بتخريب السيارات . وتدمير المحلات التجارية ، وضرب المارة فى الطريق . ويصفهم البعض بأنهم خارجون على القانون فهم لايعترفون بالدولة ولا بالحركة الصهيونية ويمثلون خطرا على أمن وسلامة الرجال والنساء والعلمانيين والمتدينين المعتدلين واليهود العرب ، بل إنهم يهددون سلطة الحاخامات وهيمنتهم على الطائفة الحريدية.

وقد تبنى فكرة تجنيد شباب الحريديم بعض الحاخامات الحريديم أنفسهم، وقد اهتم نيتانياهو بهذا الموضوع واقترح تشكيل لجنة لبحثه لولا اعتراض طائفة أجودات يسرائيل مما دفع نيتانياهو إلى سحب اقتراحه وأصبحت اللجنة المقترحة لاوجود لها.

وتجرى الاتصالات السرية بين المستشار الإعلامى لرئيس الحكومة ومدير عام ديوان رئيس الحكومة ووزير المالية يعقوب نئمان من أجل إقامة جيب من الحريديم داخل صفوف الجيش الإسرائيلى ، وسيتم اختيار أفراد هذا الجيب من الأفراد غير القادرين على الدراسة ، وذلك لتأدية خدمة جزئية رمزية على عكس خدمة الجنود العاديين ، ويمكن له أن ينهى هذه الخدمة فى أى وقت وسيكون خاضعا لسلطة الحاخامات ، وذلك على غرار الجنود المتدينين العاديين الذين يدرسون التوراة فى نطاق خدمتهم العسكرية ولكن بشكل أقل.

ومن الواضح أن الهدف من فكرة تجنيد الحريديم هو تهذيب سلوك شباب الحريديم وردعهم وتعليمهم الانضباط والطاعة وإصلاحهم وتقويمهم لأنهم مجرمون خارجون على القانون ومثيرون للشغب ، فهم ليسوا مجرد شباب يجمع بين الدراسة الدينية وأداء الخدمة العسكرية.

ويخشى بعض المعترضين على تجنيد الحريديم أن الجيش لن يفلح فى العمل على اندماجهم فى المجتمع الإسرائيلى بل يؤهلهم للانغلاق على أنفسهم ، وأن ماحدث فى النظام التعليمى الذى انقسم إلى تيارات جزئية انفصالية سيحدث أيضا داخل الجيش الإسرائيلى.

إن السؤال الذى يتجاهله الجميع حسب رأى نحوم برنياع هو : مـــالذى سيفعله شباب الحريديم داخل الجيش ؟ هل سيكونون بمثابة سدنة المعبـد ؟ إن الجيش يئن تحت عبء السدنة الموجودين . هل ســيحملون الســلاح ؟ ولكن ضد من ؟ وتحت مسئولية من ؟

وفى النهاية ينصح الكاتب إسرائيل أن تستفيد من تجربة تركيا فى هـذا الشأن ، فقد تم تجنيد المتدينين الإسلاميين داخل إطار التجنيـد العـام فـى تركيا والآن تبحث الحكومة التركية عن حل أو وســيلة لتخليـص الجيـش التركى من الإسلاميين.

الخطورة فى تجنيد الحريديم:

يمثل الحريديم شريحة خاصة داخل المجتمع الاسرائيلى فـــهم جماعـــة دينية متطرفة على مستويين :

المستوى الأول :وهو التطرف على مستوى العلاقة بالمجتمع الإســـرائيلى. ويصل هذا التطرف إلى حد عدم الاعتراف بالدولة الإسرائيلية استنادا إلـــى عدم الاعتراف بالصهيونية ورفضها كأيديولوجية للمجتمع.

المستوى الثانى : وهو موجه ضد العرب والعملية السلمية فــهم رافضـــون للسلام مع العرب.

وفى استطلاع للرأى أجرى منذ شهور أيد ٧٠% من الحريديم انتـــهاك القانون واستخدام العنف فى كل مايتصل بالعملية السلمية ، وذلـــك مقـــابل ٤٥% من المتدينين ونسبة ٤٠% من العلمانيين.

وفى بحث أجراه المعهد الإسرائيلى للأبحاث الاجتماعية والاقتصادية تبين أن الجماهير الحريدية تميل إلى استخدام العنف وانتهاك القانون فيما يتصل بالعملية السلمية ، ويؤيد ٧٠% من الحريديم تنفيذ القانون بأنفسهم.

وقد أثبتت سلسلة من التحقيقات التى أجريت عام ١٩٩٨م تحت مسمى "حريدون ٩٨" أن الحريدية هى أكثر قطاعات السكان فى إسرائيل تبنيا لمواقف يمينية متطرفة ، وهى أكثر يمينية من مواقف المتدينين القوميين ، وهى مستعدة لعدم الانصياع للقانون فيما يتعلق بقضية السلام والخطورة أن ممارسة العنف فى المجتمع الحريدى تقوم على أساس أيدولوجى إذ أن العنف على أساس جنائى قليل بين الحريديين (٢٨).

وفى الدراسة التى أجراها أورين سوفير وعليزا كورنشتين من المعهد الاستراتيجى للأبحاث الاجتماعية والاقتصادية بالتعاون مع صندوق فردريك ايفرت تم إجراء استطلاع للرأى على عينة تشتمل على ٥٠٠ شخص من اليهود البالغين ، وقد أيدت نسبة ٢٦% الاعتراض بالقوة على إزالة المستوطنات اليهودية وترى نسبة ١٠% أنه فى حالة وقوع تعارض بين الشريعة والقانون فإن الشريعة يجب أن تحسم الموقف ، وترى ١٥% أنه فى حالة عدم اتخاذ السلطات للخطوات اللازمة بشأن وقف الظواهر التى تضرب بالمجتمع فإنه يجب على المواطنين أن ينفذوا القانون بأنفسهم(٢٩).

وقد اتفق الباحثان سوفير وكورنشتين على أن الحريديم هم أكثر المؤيدين لاتباع الوسائل العنيفة وغير المشروعة ، ويليهم بعد ذلك المتدينون وقد لاحظ الباحثان أن الحاخامات من الحريديم قد فقدوا السيطرة على الجماهير الحريدية وأصبحوا غير قادرين على توجيه السلوك السياسى لجماهيرهم وبخاصة فيما يتعلق بالسلام (٣٠).

ومن هذا المنطلق يمكن رؤية مدى خطورة زيادة الوجود الحريدى فى الجيش الاسرائيلى ويمكن تلخيص هذه الخطورة فيما يلى:

١ – عدم التزام الحريديم بالسلطة القانونية واستعدادهم الدائم للخروج على القانون على أساس أيديولوجى.

٢ – ميل الحريديم إلى العنف والعدوانية وتنفيذ القانون بأنفسهم.

٣ – عدم خضوع الحريديم لأية سلطة غير السلطة الدينية لحاخاماتهم ، وفى الجيش سيتلقون أوامرهم من الحاخامات وليس من القادة العسكريين ، وسيقومون بتنفيذ مايريدونه من سياسات داخل الجيش تحت إمرة الحاخامات.

٤ – أن سيطرة الحاخامات على الجماهير الحريدية بدأت فى الضعف ، ومعنى هذا أنه حتى داخل الجيش ربما تتعرض سلطة الحاخامات للضعف ، ويتصرف أفراد الجيش من الحريديم وفق هواهم بدون مرجعية دينية (الحاخامات) أو عسكرية (القادة العسكريين).

٥ - إمكانية اتخاذ قرارات مضادة للسلام بدون الرجوع إلى القادة دينيين أو عسكريين ، وبخاصـــة فيمـــا يتعلـــق بموضـــوع المســـتوطنات وبالعملية السلمية ككل.

٦ - تزايد الوجود الحريدى فى الجيش سيعود بالعنف والعدوانية ويؤدى إلى زيادتها فى الجيش الإسرائيلى على أسس أيديولوجية.

ثانيا : تجنيد طلاب المعاهد الدينية اليهودية:

من الموضوعات المطروحة على الساحة الإسرائيلية وأثارت الكثير من الجدل فكرة تجنيد طلاب المعاهد الدينية اليهودية بالجيش الإسرائيلى.

المؤيـــدون:

ويرى المؤيدون لفكرة تجنيدهم أن ذلك يؤدى إلى تحقيـــق المصالحـــة الوطنية حيث يثير عدم تجنيدهم والامتيازات التى يحصـــل عليـــها طـــلاب المعاهد الدينية والحريديين عمومـــا .. يثـــير حفيظـــة وغضـــب الآخريـــن وبخاصة الغالبية العلمانية التى تخدم فى الجيش ويعتبرون عدم أداء الخدمة بالنسبة لهؤلاء الطلاب ممزقا لوحدة الإسرائيليين ويعتبرون هذا الأمر قنبلـــة اجتماعية موقوته وقابلة للانفجار ، ولذلك ينظر إلى تجنيدهم على أنه مفيـــد ماديا ومعنويا ومقللا للصحوة الاجتماعية الخطيرة (٣١).

ومن بين المؤيدين لتجنيد الحريديم من يرى فى ذلـــك حـــلا لمشـــكلة اعتماد الجيش على الاحتياطى . فقد ظهرت أصوات قوية بعد حرب الخليـــج تنادى فى إسرائيل بزيادة عدد أفراد الجيش النظامى الإســـرائيلى والتقليـــل

مــن الاعتماد على الاحتياط ، فقد اكتشف الإســرائيليون ضعــف الجبهــة الداخلية أثناء أزمة الخليج وأن هذا الضعف ستكون له أبعــاد إســتراتيجية خطيرة . فقد قامت نظرية الأمن الإســرائيلى علــى افــتراض أن الجيــش النظامى سوف يصمد أمام أى هجوم لأى جيش عربى حتى يتم تجنيد قــوى الاحتياط وتنظيمها قبل أن تصل إلى مواقفــها وأهدافــها ، وتقــوم بصــد الهجوم، ونقل المعركة إلى داخل أرض العدو . وتتطلــب عمليــة التجنيــد والتعبئة السريعة سيطرة إسرائيلية كاملة على محاور حركة المــرور فــى الدولة ، ومن الممكن للعرب حسب هذا الرأى أن يفسدوا عمليــة التجنيــد والتعبئة للاحتياط عن طريق إصابة الحالة المعنوية ، وهز ثقة السكان فــى الجبهة الداخلية ، فمثلا عند قصف المنازل سيتردد جنــود الاحتيــاط فــى الخروج للالتحاق بوحداتهم العسكرية أو البقــاء فــى منازلــهم لمســاعدة أسرهم، وقد لوحظ التردد لدى الاحتياط فى الخروج لأداء الخدمة العســكرية وانخفاض الدافع النفسى لأداء الخدمة الاحتياطية والامتثال لــها . وهنــاك أيضا التخوف من انضمام آلاف من الجنود الفلسطينين المدربين تدريبا جيدا إلى الجهود الحربية فى الجبهة الداخلية أو إحباط عملية تجنيد الاحتياط مــن خلال نصب كمائن على محاور الطــرق أو بــالقرب مــن نقــاط الامتثــال للخدمة(٣٢).

هذه العيوب فى الاحتياط ستزيد من الاعباء المطلوبــة مــن الجيــش النظامى وربما يتحمل عبء الحرب كلها.

وعلاج هذه المشكلة هو زيادة الجيش النظامى زيــادة كبــيرة وعــدم الاعتماد على الاحتياط . وهنا يجب توجيه الميزانيات لإنشاء وحدات جديــدة

ولو بالتخلص من بعض وحدات الاحتياط ولابد من البحث عن موارد جديدة للطاقة البشرية اللازمة للجيش النظامى لتزويده بالأفراد.

ويعتبر قطاع الحريديم من أهم القطاعات السكانية التى يتم التفكير فى تجنيدها من أجل زيادة الوحدات النظامية ، والحريديم لايخدمون فى الجيش لأنهم متدينون ويدرسون العلوم الدينية ومعفيون من الخدمة العسكرية ، والآن يتم التفكير فى الاستعانة بهم ، وقد سبق لثلاثمائة طالب من طلاب المعاهد الدينية أن التحقوا بالخدمة العسكرية عام ١٩٤٨م وخدموا فى الوحدات الخلفية ، ومن الناحية السكانية يمثل الحريديم الآن عشر السكان اليهود فى إسرائيل ومعنى هذا أن الجيش الإسرائيلى محروم من عشر الطاقة البشرية ولايستطيع أن يجندهم ، وإذا تم إلغاء الاعفاء من التجنيد فسيصبح فى الامكان تجنيد عشرات الآلاف منهم كل عام (٣٣).

المعارضون:

وهناك بعض المعارضين لهذه الفكرة ، ويأتى معظم المعارضين من الجانب العلمانى الذى يخشى زيادة نفوذ المتدينين فى الجيش وتغيير الصبغة العلمانية للجيش ، ومن أهم النقاط التى يثيرها المعارضون للفكرة مايلى:

١ - أن فكرة تجنيد طلاب المعاهد الدينية اليهودية فكرة غير عملية ، وتمثل عبئا على الجيش ، وخلخلة للنظام العسكرى المتبع فيه ، ومن أدلة كون الفكرة غير عملية أن الجيش الإسرائيلى مطالب فى حالة قبول هؤلاء الطلاب أن يوفر لهم سبل المعيشة داخل الجيش حسب العقيدة ويزودهم بالطعام المطابق للشريعة اليهودية ،

ويمنحهم أوقاتا لدراسة التوراة ، ويمكنهم من أداء صلوات الفجـــر والعصر والمغرب ، وأن يفصل بينهم وبين المجندات فى الجيـــش ، ويتم الفصل فى السكن وقاعات الطعام ، وفـــى المكـــاتب الخاصـــة بإدارات الجيش (٣٤).

٢ - أن هؤلاء الطلاب المتدينين سينظرون فى الجيش إلـــى الحاخامـــات على أنهم يمثلون السلطة العليا الحقيقية وليس قـــائد المنطقـــة أو رئيس الأركان العامة ، وهذا يؤدى إلى زعزعـــة الســـلطة داخـــل الجيش وتعدد السلطات والقيادات ما بيـــن قيـــادة دينيـــة يمثـــها الحاخامات وقيادة علمانية يمثلها القـــادة العســـكريون ، ويصبـــح الانتماء داخل الجيش للحاخام وليس للقائد العسكرى وبخاصـــة لأن هؤلاء الطلاب يرفضون فى الغالب الحركة الصهيونية كما يرفـــض بعضهم دولة إسرائيل وإنتماؤه إلى المرجعية الدينية فقط.

٣ - يؤدى هذا الوضع أيضا إلى عـــدم اعتمـــاد الجيـــش والمواطنيـــن المدنيين فى الدولة على هؤلاء الأشخاص المتدينين داخل الوحـــدات العسكرية.

بدائل للتجنيد:

وهناك عدة بدائل مطروحة تمكن طلاب المعاهد الدينية اليهوديـــة مـــن الخدمة فى الجيش بدون إحداث أى تغيير فى النظام العســـكرى للجيـــش ، ومن أهم هذه البدائل مايلى :

١ – تشكيل وحدات خاصة لهؤلاء الطلاب تكـــون قـــاصرة عليـــهم دون غيرهم ، ومن المآخذ المهمة على هذه الوحدات الخاصة أنـــها لـــن تستطيع تقديم الخدمة العسكرية فى الجيش على الوجه الذى يحقـــق الفائدة من تجنيدهم وستمثل هذه الوحدات عبئا ماليا زائـــدا علـــى ميزانية الجيش (٣٥).

٢ – إحياء فكرة "سلاح الحراسة" والتى كانت موجودة قبل قيام الدولـــة وخلال الفترة الأولى من قيامها ، ومن خلال سلاح الحراسة شـــارك طلاب المعاهد الدينية اليهودية فى أعمال الاســـتخبارات والمراقبـــة والتنبيه وشارك بعضهم فى المعارك وحملوا السلاح.

ولذلك يقترح أصحاب هذا الرأى عودة نظام ســـلاح الحراســـة وتخصيصه لطلاب المعاهد الدينية ، فهناك أعمال أمنية كثيرة تحتاج إلى حارس معه جهاز اتصال ويقوم بأعمال الحراسة والمراقبـــة ، ومن الممكن على حسب هذا الـــرأى أن يســـاهم هـــؤلاء الطـــلاب كحراس يحملون السلاح فى مقاومة الإرهـــاب والأعمـــال العدائيـــة والجرائم فى مناطق الاحتكاك بيـــن الإســـرائيليين والفلســـطينيين ، وذلك عن طريق التواجد البشرى اليقـــظ والـــرادع ، ومـــن خـــلال الدوريات فى المناطق المحلية وفى محطات الأتوبيس والأسواق فـــى مناطق السكنية ، وفى نقاط المراقبة الواقعة على خط التماس بيـــن أراضى السلطة الفلسطينية وإسرائيل (٣٦).

ويرى المتحمسون لهذا الاقتراح أن الفكرة ستحقق الفائدة الاقتصادية والأمنية معا حيث سيتم توفير عشرات الملايين من ميزانية الجيش ، ويوفر الطاقة البشرية المحاربة والماهرة لكل من الجيش الإسرائيلى والشرطة.

ويتم التركيز هنا على اعتبار هذه الوحدات من الحراسة هى وحدات استخبارية ميدانية دون أية سلطة مدنية ولاتحمل سلاحا فى المهام العادية ، وذلك حتى لاتتحول هذه الوحدات إلى سلطة مستقلة عن الجيش ، وتصبح أشبه بقوات حرس الثورة الإيرانية.

٣ - اقتراح أن يقوم طلاب المعاهد الدينية الملتحقين بسلاح الحراسة بأداء خدمتهم العسكرية بالقرب من منازلهم أو من معهدهم الدينى فلاتكون هناك حاجة إلى ترحيلهم إلى مسافات بعيدة أو بناء مطابخ تخصهم ، كما يمكنهم أن يواصلوا الدراسة وأن يؤدوا الصلوات قبل الدوريات المكلفين بها أو بعدها.

٤ - اقتراح أن يؤدى هؤلاء الطلاب الخدمة العسكرية فى إطار يخضع لوزارة الأمن الداخلى لأن ذلك أفضل من تجنيدهم فى الشرطة أو ضمن الحراسة المدنية حتى لايحدث تعارض فى المصالح إذا ماأصبحوا أفراد شرطة ولو بدون سلاح ، وحتى لايحدث تعارض فى رئاستهم بين الحاخامات وبين قادة الشرطة ، وفى الحراسة المدنية ستنهار القدرة العملية والانضباط ويصبح عملهم أشبه بالعمل التطوعى الضعيف.

٥ يجب أن يأخذ هؤلاء الطلاب وضعا خاصا بهم فى الجيش فتخصص لهم كتيبة مثل كتيبة البدو أو الدروز فى الجيش الإسرائيلى ، ويمكن خلق إطار خاص بهم بالتعاون مع زعمائهم الدينيين من الحاخامات (٣٧).

ثالثا : تجنيد الفتيات المتدينات:

من أهم مظاهر تديين الجيش الإسرائيلى بعد الدعوة إلى تجنيد طلاب المعاهد الدينية التفكير فى تجنيد الفتيات المتدينات.

وقد خرجت الفكرة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ ، وذلك بتجنيد ٣٧ فتاة متدينة كأول مجموعة فتيات متدينات يدخلن الجيش الإسرائيلى ويصنعن التاريخ ، كما عبر الكاتب ليمور حريزيم ، وبعد ثلاث سنوات من الآن سوف يجمعن بين الخدمة العسكرية الكاملة فى سلاح التعليم والتدريب وبين الدراسات الدينية التوراتية.

وفى بداية العام الدراسى القادم سترتدى الفتيات المتدينات الملابس العسكرية ويبدأن اتجاها جديدا فى حياتهن وسيخرجن من القوقعة الدينية إلى عالم جديد يتعرفون فيه على أشخاص جدد ، وذلك على حد قول إحدى الطالبات ولأول مرة ستصبح الفتيات المتدينات مثل الفتيان يجمعن بين الخدمة العسكرية الكاملة والدراسة الدينية التوراتية فى مستوى التعليم العالى ، وسيدخلن الجيش ، ويحملن معهن كتاب "الجمارا" وهو جزء من التلمود ، وكتاب للفتاوى الدينية اليهودية (٣٨).

وعمر التجنيد بالنسبة للفتيات المتدينات ١٨ عاما وهـن مـن جميـع أنحاء إسرائيل ، وتتبع الفتيات المتدينات فى الجيـش الاسـرائيلى نظـام "يشيفوت هاهسيدر" وهى عبارة عن مجموعات منظمة من الجنود المتدينين لدراسة التوراة أثناء الخدمة العسكرية وأول المعسكرات التى ستفتح للبنات المتدينات ستكون فى كبوتس عين هناتسيف وفى القدس.

ويعتبر هذا الأمر تحولا حقيقيا فى شئون الجيش الإسرائيلى . فالفتيـات المتدينات صدر بشأنهن حظر يمنـع مـن دخـول الجيـش وأداء الخدمـة العسكرية . ففى عام ١٩٥١م أصدرت الحاخامية الكبرى فتوى دينية تحـرم دخول الفتيات المتدينات الجيش باعتبار أن الجيش لايعتبر المكان المناسـب للفتاة المتدينة المحتشمة الفاضلة ، وأن خدمة الدولة تتم من خلال الخدمـة الوطنية غير العسكرية ، وقد نظر إلى بعض الفتيات اللاتى قـررن ارتـداء الزى العسكرى على أنهن انتهكن الحرمات وخرجن على الأمور الاجتماعيـة المسلم بها (٣٩).

وقد بدأ هذا التحول فى السنوات الأخيرة حين أدرك رؤسـاء المعـاهد الدينية أنه من الصعب الوقوف أمام رغبة الفتيات المتدينات فى أداء الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى . وقد أفتى بعض الحاخامات بإباحـة أداء الخدمة العسكرية لكن ليس فى صورة علنية ، ولذلك كانت تتم عملية تجنيـد بعض الفتيات المتدينات بشكل سـرى وبمعرفـة الحاخامـات والمديريـن المختصين بالجيش.

وازدادت هذه الظاهرة بعد أن طلبت بعض الكليات الدينية اليهودية (كليات اللاهوت) السماح بتجنيد فتيات الكليات الدينية ، وكانت الفتيات يقضين عاما دراسيا فى الدراسات الدينية اليهودية قبل أو بعد أداء الخدمة العسكرية دون الحصول على مؤهل أو شهادة واشتملت الدراسات الدينية على دراسة أسفار العهد القديم والتلمود وكتب موسى بن ميمون.

ويلاحظ فى السنوات الأخيرة ازدياد عدد الفتيات الراغبات فى الحصول على دراسات دينية توراتية جادة قبل التخرج ، وبدأت المعاهد الدينية التوراتية تعدل من نظامها لكى تسمح للفتيات بالجمع بين دراسة المواد الدينية التوراتية وأداء الخدمة العسكرية حيث تدرس الفتيات فى المعهد وتؤدى الخدمة فى الجيش برتبة ضابط صف تعليمى ، وسوف تلتزم الفتيات بقضاء ثلاثين شهرا فى الخدمة العسكرية منها ١٢ شهرا داخل المعهد الدينى والباقى (١٨ شهرا) فى الخدمة العسكرية الفعلية ، وأول معهد دينى للفتيات يطبق هذا النظام هو معهد عين هناتسيف . وقد جاءت المبادرة من الحاخام المسئول عن أسلحة التعليم وكتائب الشباب وهو الحاخام شمعون الماليباح حيث طلب من معهد الفتيات الدينى بتطبيق نظام "يشيفوت هاهسيدر" المطبق على الشباب المتدين المتعلم فى المعاهد الدينية للبنين على المعاهد الدينية للفتيات حتى يتمكن من دراسة التوراة أثناء الخدمة العسكرية ، وتقول راحيل فيرن مديرة معهد الفتيات الدينى "لقد ازدهرت خلال السنوات الأخيرة الحركة النسائية بين الجمهور الدينى القومى وبدأت الفتيات المتدينات يخرجن إلى الشارع للعمل والدراسة فى الجامعات وقد أحرزن تقدما فى كل مجالات الحياة ، وقد اقتحمن مجال الدراسات الدينية وعلوم التوراة التى يسيطر عليها الرجال ، فالدراسات

التوراتية فى التعليم العالى متاحة للرجال فقط وتعتمد المرأة على معلومات الزوج أو الأب ، والآن تريد الفتيات الحصول على الاستقلال الدينى فى هذا المجال (٤٠).

وقد وافق الجيش الاسرائيلى على فتح أبواب الخدمة العسكرية أمام الفتيات المتدينات مع اقتراح تخفيض مدة الخدمة للبنات ، وقد رفضت الفتيات فكرة تخفيض المدة وطالبن بأداء خدمة عسكرية عادية الأمر الذى وافق عليه المسئولون فى الجيش الإسرائيلى.

رابطة بت عمى (بنت شعبى) لتجنيد الفتيات:

وهناك رابطة إسرائيلية تسمى رابطة بت عمى تقوم بتجنيد وتشغيل الفتيات المتدينات فى الخدمة القومية وقد أقامت الرابطة أول معرض لها فى الفترة من ٢٠ – ٢٢ يناير ١٩٩٨م فى القدس بهدف جذب الفتيات المتدينات للخدمة القومية ، وقد أقيم المعرض بالتعاون مع مركز الإعلام ، وتم عرض كل الصور الممكنه للتطوع فى الخدمة القومية ، وقد زار هذا المعرض عشرة آلاف من الفتيات المتدينات (٤١).

خطورة تزايد أعداد طلاب وطالبات المعاهد الدينية وكليات اللاهوت فى الجيش الإسرائيلى:

من المعروف أن طلاب التأهيل الدينى قبل الخدمة العسكرية وطلاب وطالبات المعاهد الدينية وكليات اللاهوت من المنتمين إلى الاتجاه الدينى القومى هم من أشد المتحمسين لأداء الخدمة العسكرية وتولى المناصب العادية مع الاستمرار فى الخدمة العسكرية وهم أيضا من المتشددين دينيا ، وقد تسببوا فى العديد من المشاكل مع العلمانيين داخل المجتمع الإسرائيلى.

ومن آخر هذه المشاكل القضية التى وقعت فــى أمســية أداء التحيــة العسكرية للجيش الإسرائيلى فى "يعر يتير" . فمن المعـــروف أن مبــادىء الدين والشريعة اليهودية هى وحدها التى تحكم ســلوك طلبــة المــدارس التأهيلية الدينية التى تسبق الخدمة العسكرية وقــد دعــى هــؤلاء الطلبــة المتدينون إلى حضور حفل أداء التحيــة العســكرية للجيــش الإســرائيلى ومشاهدة العرض الفنى المصاحب للحفل المذاع تليفزيونيا . وقد اعـــترض الطلاب المتدينون على مشاركة الراقصات والمطربـــات ، وأصــر مديــرو ومدرسو وطلاب المدارس التأهيلية الدينية على مقاطعة المناسبة والحفـــل الفنى إذا شاركت فيه هذه الفرقة الراقصة بملابسها الخليعة ، وقد فهم هــذا الموقف على أنه تعبير عن التمسك بالمبــادىء الدينيــة والتربويــة التــى يتمسك بها طلاب هذه المدارس فى جميع شئون حياتهم . ويتـــهم البعــض المسئولين فى وزارة الدفاع بسبب تقديمهم هذا البرنامج الفنـــى الراقــص دون مراعاة وجود طلبة التأهيل الدينى المشاركين فى المناسبة إلى جـــوار طلبة الحركات الشبابية العلمانية ، وقد انصب الهجوم من جانب العلمـــانيين على طلاب التأهيل الدينى والمتدينين عموما فى اتهام واضح لهم بالتشـــدد الدينى والتعصب (٤٢).

أما المتدينون وبخاصة من بين طلاب المعاهد الدينيـــة فقــد اتــهموا العلمانيين بالجهل بقواعد الديانة اليهودية وبالأمية الدينية ، وأن هذا الجهل يحول دون قيام حوار بين الجانبين مما يؤدى إلى تصاعد موجات الكراهيــة والحقد بين الفريقين.

إن المتدينين من أبناء المدارس والكليات الدينية سينقلون بلا شك هــذا الصراع بينهم وبين العلمانيين إلى الجيش الإسرائيلى وبخاصة مــع نشــأة

صراع على السلطة داخل الجيش مع تصاعد الدور الدينـــى داخلـــه ومـــع ازدواجية هذه السلطة بين الطاعة للقائد العسكرى أو الطاعة للحاخام(٤٣).

ولاشك فى أن الطلاب المتدينين المنتمين إلى المدارس والكليات الدينية يلعبون دورا كبيرا فى الصراع العام الدائر بين العلمانيين والمتدينين ، وفى المشكلة القائمة بين الدين والدولة فى إسرائيل . وفـــى اســـتطلاع للـــرأى عقدته جريدة هتسوفيه فى ١٩٩٨/١/١٨م عن انخفاض دوافع الخدمة فـــى الوحدات القتالية ، وبحث مواقف الشباب الإسرائيلى تجاه القضايا التعليميـــة والاجتماعية تبين أن غالبية الشباب الإسرائيلى بنسبة ٥٥% يعتقـــدون أن الخلاف أو الصراع بين المتدينين والعلمانيين يمثل أكثر الخلافـــات تـــهديدا للمجتمع الإسرائيلى . ثم يأتى بعد ذلك الخلاف بين اليمين واليسار بنســـبة ٢٣ر٥% وبين الشرقيين والغربيين بنسبة ٢ر٨% وأخـــيرا الفجـــوة بيـــن الاغنياء والفقراء بنسبة ٦ر٦% (٤٤).

ويلاحظ أن الصراع بين العرب وإسرائيل وبينها وبين الفلسطينيين قـــد انحسر كتهديد رئيسى للمجتمع الإسرائيلى ، وتقدمت المشاكل الاجتماعيـــة لتمثل التهديد الأساسى للمجتمع.

الخطورة العامة لتصاعد دور المتدينين فى الجيش الاسرائيلى:

من المعروف أن اليمين الدينى اليهودى المتطرف على اختلاف أشـكاله يتمسك بفكرة إسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية ويسعى إلى تحقيـــق هـــذا الهدف بكل الوسائل الممكنة . وخطورة هذا اليمين الدينى المتطرف تتمثـــل فى تبنيه لسياسة العنف والقوة كوسيلة لتحقيق أهدافه الأيديولوجية وهـــو لايعطى اعتبارا كبيرا للمعاهدات السياسية ، ولايـــهتم بـــالقوانين الدوليـــة باعتبارها أحد المعوقات فى طريق تنفيذ تعاليم التوراة . وهو يعطى أولويـــة

للتوراة على القانون دوليا كان أو غير دولى ، ورأينا أيضا مدى استعداد اليمين الدينى اليهودى المتطرف لتنفيذ القانون بالقوة فى حالة تردد الدولة أو عدم وفائها بوعودها لليمين الدينى اليهودى المتطرف ، وفى المستوطنات نجدهم يتجهون إلى عصيان قوانين الدولة وتنفيذ قوانينهم هم، وقد فشلت الحكومات الإسرائيلية فى إخضاع المستوطنين من المتطرفين اليهود للقانون.

وتغلغل اليمين الدينى اليهودى المتطرف إلى الجيش معناه أن يتحول الجيش الاسرائيلى إلى أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف اليمين المتطرف ، ويصبح الجيش أداة لردع العرب والفلسطينيين ، ولتحقيق الاستيطان فى كل المناطق المحتلة وللعمل على تنفيذ السياسة الاستيطانية المؤدية إلى إقامة إسرائيل الكبرى.

وقد حذر الصحفى الإسرائيلى أمنون كابليوك من اختراق اليمين اليهودى المتطرف للجيش لأن هذا يرفع من شأن الحرب والعسكرية ويقتل كل فرص السلام ، ويصف كابليوك هذه الخطورة على النحو التالى:

"إن نصف ضباط الجيش الاسرائيلى سيرتدون القلنسوة الدينية على رؤوسهم بعد عشر سنوات فقط ، وأن جنود الجيش الإسرائيلى سيجدون أنفسهم أمام خيار خطر : إما طاعة قائدهم العسكرى أو طاعة الحاخام ..." (٤٥) ومن الممكن أن يرفض ضباط وجنود الجيش الانصياع لأوامر الحكومة خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . ومن المعروف أن بعض الحاخامات يدعون الجنود الإسرائيليين إلى عصيان أوامر الانسحاب من المستوطنات لأن ذلك يتعارض مع قوانين التوراة . إن تفشى ظاهرة التطرف الدينى فى إسرائيل ستؤدى حتما إلى زيادة اللجوء

إلى العنف والعدوان ، ومع وجود مؤيدين للتطرف الديني وزيـــادة لنفـــوذه داخل الجيش فإن اللجوء إلى الحرب أمر محتمل كسياسة للدولـــة وبضغـط من عناصر التطرف الديني المتزايدة في الجيش الإسرائيلي.



الفصل الرابع

الصراع الدينى العلمانى فى إسرائيل وأثره فى العملية السلمية

يمثل الصراع بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل إحدى القضايا الأساسية داخل المجتمع الإسرائيلى ، وهو صراع يعكس الحرب الثقافية الدائرة داخل عدة دوائر منها:

أولا : الدائرة اليهودية العلمانية.

ثانيا : الدائرة اليهودية الإسرائيلية وهى تهتم بتحديد من هو اليهودى ومن هو الإسرائيلى وهل ثمة تعارض بين الهويتين ، وهناك دائرة ثالثة للصراع الثقافى بين يهود الداخل فى إسرائيل ويهود الخارج ، وقد دارت حول قانون التدين الذى أثار العدد من المشاكل ، ويضاف إلى هذه الدوائر المتعددة للحرب الثقافية السؤال الحائر هل إسرائيل بلد شرقى أم بلد غربى ؟ وهل يجب أن تحافظ على غربيتها أم تسير ثقافيا فى اتجاه الشرقنة أى تصبح بلدا شرقيا؟.

لاشك فى أن كل هذه الوجوه للحرب الثقافية سيكون لها دور فى تشكيل المجتمع الإسرائيلى بعد السلام أو فى ظل السلام ، بل إن هذا الصراع الثقافى يهدد السلام تهديدا مباشرا ، وذلك لأن الأيدولوجية الصهيونية بنت علاقتها مع العرب على أساس من استمرارية الصراع بالياته الصهيونية المختلفة من اعتماد على مبدأ القوة بما يولده من مظاهر للعنف والعدوان

والظلم والاضطهاد للآخر من أجل سلامة المجتمع اليهودى . والاضطرار إلى الدخول فى السلام مع العرب معناه صهيونيا التخلى عن مبدأ الصراع واستمراريته وبالتالى اتجاه الصراع إلى الداخل ، وهو الأمر الذى تخشاه الصهيونية . وبالفعل بدأت بوادر الحرب الثقافية بمجرد دخول إسرائيل فى عمليات التفاوض مع العرب ، ولذلك بدأت السياسة الإسرائيلية تجاه السلام تتغير لعدة أسباب منذ تولى بنيامين نيتانياهو لمقاليد الحكم ، وكأن نيتانياهو مكلف بالفعل بتعطيل العملية السلمية أو تدميرها بالكامل من خلال الإلغاء الفعلى لكل الاتفاقيات التى تمت (٤٥).

ومن أهم أسباب تعطيل السلام والعملية السلمية فى الوقت الحالى مايلى:

أولا : قرب الدخول فى الألفية الثالثة ، وذلك على المستوى اليهودى المسيحى ، فكما ذكرنا سابقا بدأت تنتعش على المسرح المشاعر المسيحانية لدى اليهود والمسيحيين الإنجيليين الأمريكيين وهى مشاعر تتفق فى مسألة جمع الشتات اليهودى فى فلسطين ، وقدوم المسيح المخلص ، وإقامة المملكة وإنشاء الهيكل أو إعادة بنائه كما يقال ، وكل هذه المسائل ترتبط عند الأصولية المسيحية بقيام حرب كبرى ، ويلاحظ أن كل هذه الآمال المسيحانية لها تأثير عكسى على العملية السلمية خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار مسألة الحرب الكبرى التى من المتوقع أن تقوم ، وهى تسمى أحيانا "حرب يأجوج ومأجوج" فى الفكر المسيحانى يهوديا كان أو مسيحيا (٤٧).

ثانيا : أن بوادر الصراع بدأت فى الظهور بشكل قوى داخل المجتمع الإسرائيلى الأمر الذى يقوى التفكير الخاص بأن السلام قد يكون

مهددا للمجتمع الإسرائيلى . ويلاحظ أنه فـــى اســتطلاعات الـــرأى الأخيرة تدهورت مكانة مشكلة الشرق الأوسط والصراع مع العـــرب واحتلت المرتبة الأخيرة كقضية بين الإسرائيليين ، واحتل الصــــراع بين المتدينين والعلمانيين المكان الأول فى دائرة اهتمامـــات الـــرأى العام الاسرائيلى ، ويأتى بعده فى الأهمية موضوع البطالة والمشاكل الاقتصادية . ولاشك فى أن السبب فى هذا التدهور لمكانة الصــــراع العربى الإسرائيلى يعود إلى الســـلام نفســـه . فقـد بـدأ المجتمــع الإسرائيلى يشعر بالسلام ويستقر ، ومرت ٢٥ سنه بـدون حـــروب كبرى مما أدى إلى الإحساس العام بالأمان تجـــاه قضيــة الشــرق الأوسط والصراع مع العرب لتظهر المشاكل الحقيقية داخل المجتمــع الاسرائيلى وعلى رأسها مسألة الصراع الدينى العلمانى.

هذه المسألة أو هذا التطور نعتبره مهددا للســـلام ، وذلــك لأن توجيــه الاهتمام للصراع الدينى والعلمانى على حساب السلام يعــد مشــكلة كبــيرة تحتاج إلى مراجعة إسرائيلية حتى لاتضيع فرصة السلام ولايخضــع الســـلام لأية تأثيرات أخرى قد تؤدى إلى ضياعه . ومـــن الضـــرورى التحكـم فـــى المشاعر الدينية التى ستطرأ بسبب الألفية الثالثة.

ويعود الصراع بين العلمانيين والمتدينين فى إسرائيل إلى ما قبل نشـــأة الدولة ، ولايعتبر صراعا حديثا ولكنه صراع قديم مرتبط بطبيعتـــه بالعلاقـــة بين العلمانيين والمتدينين اليهود فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قبـل أن تنشأ إسرائيل.

لقد انقسم المجتمع اليهودى خارج فلسطين إلى غالبية علمانية وأقلية متدينة حيث سيطرت الثقافة العلمانية للدول الأوروبية ولأمريكا على حياة اليهود فيها وأصاب اليهود فيها ماأصاب بقية مواطنى هذه الدول . وعلى الرغم من أن نشأة الصراع العلمانى الدينى فى الغرب تعود إلى توتر العلاقة بين الكنيسة المسيحية والمؤسسات الدنيوية وظهور مايسمى بالصراع بين البابوية والدولة ، أو بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية .. على الرغم من هذا فإن الصراع المسيحى – المسيحى أدى إلى إنفصال الدولة عن الدين وتطور نظم الحكم العلمانية المستقلة عن الدين ، والبابوية ، وهذا الانفصال بين الدين والدولة أثر على كل مواطنى أوروبا وأمريكا بصرف النظر عن دياناتهم . فقد تحول مجتمع العصر الوسيط المسيحى إلى مجتمع العصر الحديث العلمانى المنفصل عن الدين ، ووقع يهود أوروبا تحت هذا التأثير ، وتحول يهود أوروبا إلى الاتجاهات العلمانية بل إن بعضهم خرج على حدود العلمانية المنفصلة عن الدين إلى علمانية إلحادية لاتعترف بالدين ولا بالألوهية كما هو الحال فى بعض التيارات العلمانية الإلحادية التى انتشرت فى أوروبا وبخاصة فى أوروبا الشرقية والتى اكتسحتها فى القرن العشرين موجة الشيوعية والاشتراكية الرافضة للدين والملحدة غير المقرة بوجود الألوهية ، بل اعتبرت الدين أفيون الشعوب ، والألوهية من أوهام العقل الانسانى . واليهود فى أوروبا الشرقية ، وكذلك فى أوروبا الغربية لم يكونوا متفرجين على هذا التطور فى الفكر الغربى بل كانوا من صناعه . ويكفى أن نذكر كارل ماركس اليهودى الذى طور الاشتراكية والشيوعية ودوركايم الذى وضع الأسس النظرية للعلوم الاجتماعية ، وهى أسس وضعية لاتقر بالدين ولاتعترف به كأساس منظم للحياة الانسانية ، وسيجموند فرويد الذى أسس علم النفس التحليلى والذى وضع نظرية كاملة

فى الدين ترده إلى أوهام العقل البشرى ، وتعتبر الألوهية من وساوس هـــذا العقل ومخاوفه وأنه لاتوجد ألوهية ولا إله ولكنها حاجة الانسان السيكلوجية إلى من يرعاه ويحفظه ، وهو دور يقوم به الأب الذى هو مصـــدر الســلطة وهو مصدر الرهبة والحب بالنسبة للطفل ، وعلى صورة الأب تـــم صياغـــة صورة الإله ، وهى صورة وهمية ومن أمراض العقل الانســانى وفـــى هــذا فرويد كتابه المشهور "الدين كوهم" RELIGION AS AN ILLUSION.

صلة اليهود إذن بتطور العلمانية فى الغرب صلة قوية وهناك مئات مـــن المفكرين اليهود الذين لعبوا دورا كبيرا فى صياغـــة النظريـــات العلمانيـــة وترويجها ليس بين اليهود فقط ولكن بين جمهور المواطنيـــن فـــى أوروبـــا والولايات المتحدة الأمريكية.

ومع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين التى بدأتها الحركة الصهيونيـــة الاستيطانية هاجر إلى فلسطين فى موجات الهجرة المتعاقبة أفواج من اليهود العلمانيين الذين على أكتافهم قامت إسرائيل ، ويكفـــى أن نذكـــر فـــى هــذا الخصوص أن تيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية السياسية وزعيمها الأول كان يهوديا علمانيا بكل معانى الكلمة فهو تربى فـــى أســـرة يهوديـــة علمانية بعيدة عن الأخذ بتعاليم الدين اليهودى وليست متأصلة فـــى الـــتراث الدينى اليهودى.

ونضيف إلى هذا أن الجماعات اليهودية المتدينة فى أوروبا والولايـــات المتحدة الأمريكية وفى دول أمريكا اللاتينية وغيرهـــا لـــم ترحـــب بـــالفكرة الصهيونية ورفضت فى البداية الاعتراف بها ، وذلك بسبب علمانية الحركـــة

الصهيونية من ناحية وعدم اقتناعها بالتفسير الصهيونى لمفهوم الخلاص ، وبعقيدة المسيح المخلص . ولذلك وجدنا أن هناك فرقا دينيه يهودية ترفض الصهيونية ولاتعترف بالخلاص الذى تدعى أنها حققته ، وسبب الرفض يعود إلى التدخل الصهيونى فى العقيدة الدينية اليهودية المعروفة عن الخلاص والمسيح المخلص . ومن أهم مظاهر هذا التدخل عدم الاعتراف بظهور المسيح المخلص بشروطه المعروفة فى التراث الدينى اليهودى ، والقول بأن الصهيونية هى المسيح المخلص فى شكل جماعة أو حركة وأنه ليس بالضرورة أن يكون المسيح شخصا ، وكذلك تم رفض الصهيونية لأنها استعجلت الخلاص على حسب تعبير المتدينين فهى لم تنتظر الخلاص الدينى على يد مسيح مخلص منتظر وأتت بخلاص علمانى على يد حركة سياسية قومية . وهكذا فبذور الصراع الدينى العلمانى الذى نشاهده اليوم على الساحة الاسرائيلية إنما هو صراع قديم ظهر خارج فلسطين وتم نقله إلى فلسطين بواسطة الهجرات الصهيونية إليها مع ظهور الحركة الصهيونية.

ويعتبر الصراع بين المتدينين داخل المجتمع الإسرائيلى من أهم الإنشقاقات الواقعة فى إسرائيل ، وقد احتل هذا الصراع المكانة الأولى من الأهمية لدى الإسرائيليين ، وقد اشارت بعض استطلاعات الرأى الأخيرة إلى أن الصراع بين المتدينين والعلمانيين يأتى قبل الصراع مع الفلسطينيين والعرب والذى تدنى إلى المرتبة الرابعة من الأهمية حيث سبقته قضايا أخرى مثل البطالة والجريمة والصراع الطبقى.

ويعود الصراع بين المتدينين والعلمانيين إلى ازدواجية أو ثنائية واضحة فى تركيبة المجتمع الاسرائيلى منذ بدايته ، وهى ثنائية موروثة من

فترة ماقبل قيام الدولة ، فالصهيونية المسئولة عن قيام الدولة هى "الصهيونية السياسية" صهيونية تودور هرتسل التى لخصت المشكلة اليهودية فى أنها مشكلة سياسية ولم تنظر إليها أبدا على أنها مشكلة دينية. وكانت الصهيونية المضادة لصهيونية هرتسل هى الصهيونية الروحية والثقافية وهى صهيونية آحادها عم الذى رأى أن المشكلة اليهودية مشكلة ثقافية وليست سياسية ، فاليهود ليسوا فى حاجة إلى دولة لأنهم يعيشون مطمئنين آمنين فى الدول الأوروبية وأمريكا وغيرها ، ولكنهم فى حاجة إلى حل مشكلتهم الروحية ، وذلك يتحقق بالعودة إلى التراث والثقافة اليهودية ، أما فلسطين والقدس فهى بالنسبة للصهيونية الثقافية مجرد مركز روحى أو ثقافى تتجه إليه أنظار اليهود كقبلة ثقافية يتجهون إليها ولم ينظروا إليها نظرة الصهيونية السياسية كعاصمة سياسية لدولة تجمع اليهود المشتتين فى العالم.

لذلك نجد أن نشأة إسرائيل يغلب عليها الطابع العلمانى فقد أسسها العلمانيون ودور المتدينين فى إنشائها ضعيف ، وقد سيطر عليها يهود الغرب الأشكناز بميولهم العلمانية ، ولذلك أخذت الدولة شكل الدولة العلمانية فنظم الحكم فى إسرائيل هى النظم العلمانية ، والتشريعات تتم داخل مؤسسات علمانية ، والأحزاب الموجودة معظمها أحزاب علمانية ، والشارع الإسرائيلى شارع علمانى ، والثقافة الإسرائيلية السائدة ثقافة علمانية.

لقد تحررت إسرائيل من الدين وأصبحت دولة علمانية خالصة ، والدور المعطى للدين ارتبط بالشتات حين تفرق اليهود بين دول العالم ، ولعب الدين الدور الأساسى فى توحيد اليهود ، ويعتبر الدين مسئولا عن الطابع الشتاتى

للمجتمع اليهودى ، وينظر إليه معظم الصهاينة على أنه شيء من الماضى ، ولايصلح لأن يلعب دورا فى حياة الدولة الحديثة ، والتحرر من الدين جزء من التطور الذى يتضمن دخول المجتمع اليهودى فى العصر الحديث وهو اعتبر شرطا ضروريا لبناء مجتمع يهودى فى فلسطين فى القرن العشرين.

ولذلك يشكل المتدينون أقلية صغيرة داخل الحركة الصهيونية كما شكل الصهاينة أيضا أقلية صغيرة بين اليهود المتدينين حتى بعد الحرب العالمية الثانية.

وقامت العلاقة بين الصهيونية واليهودية على أساس من استغلال الأولى للثانية فالصهاينة عادة ما يلجأون إلى اليهودية لاستخدام بعض رموزها ومضامينها فى دعائيتهم بين الأوساط اليهودية . فقد استخدموا مثلا بعض الرموز الدينية مثل المنورا وشمعدان الحانوكا وغيرها ، وعملوا على إضفاء صبغة دينية خارجية لحركتهم العلمانية الأصول والطبيعة ، وكان لذلك أسبابه فالصهاينة الذين قدموا من شرق أوروبا نشأوا أصلا فى مجتمعات متشبعة بالمناخ الدينى المحافظ ، وقد عزلوا أنفسهم عن هذه الثقافة الدينية وأصبحوا علمانيين فى مواقفهم ومشاعرهم (٤٨).

وقد استعاروا فيما بعد بعض رموز الثقافة اليهودية مثلما فعل تيودور هرتسل الذى اقترح أن يظهر فى العلم الصهيونى سبعة نجوم ذهبية على خلفية بيضاء كرمز لأيام الاسبوع السبعة ، ويعكس هذا رؤية اجتماعية علمانية لم تتم الموافقة عليها لأنها لن تجذب اليهود إلى شيء ثقافى يهودى، ونجح الاقتراح الذى جعل العلم الصهيونى يحمل شال الصلاة عند

اليهود والذى يتشح به اليهود فى الصلاة مع إضافة نجمة داود السداسية ، ومعنى هذا أن الرمز المعطى على العلم الصهيونى كان رمزا علمانيا فى البداية ثم تحول إلى رمز دينى ، وهو استخدام صهيونى علمانى للرموز الدينية اليهودية وتوظيف لها ، ولاتشير إلى أصالة دينية فى الصهيونية العلمانية (٤٩).

وقد أثر على علاقة الصهيونية بالدين أن معظم اليهود المتدينين ظلوا متحفظين على الصهيونية بل إن بعضهم اتخذ موقفا معاديا منها ، والمتدينون الذين انضموا إلى الحركة الصهيونية طالبوا من البداية أن يكون الكيان السياسى أو الدولة المراد إنشاؤها دولة دينية بقدر يسمح لليهود المتدينين بالانحياز إليها والمشاركة فيها.

ولم يحدث هذا فالدولة التى نشأت دولة علمانية حملت فى داخلها بذور الصراع العلمانى الدينى والذى بدأت آثاره تظهر فى المجتمع الاسرائيلى بعد أن دخلت المشكلة الفلسطينية فى مسار جديد هو مسار السلام.

وهناك عدة مجالات يتمحور حولها الصراع بين المتدينين والعلمانيين فى المجتمع الاسرائيلى:

١ - الاختلاف حول شكل الحياة الاجتماعية:

والمجال الأول هو بطبيعة الحال مجال الحياة الاجتماعية حيث يختلف أسلوب الحياة الاجتماعية لدى المتدينين عنه لدى العلمانيين ، والدولة فى حد ذاتها تقوم على أساس غربى علمانى يعتمد على

مبدأ الديموقراطية وسيادة الشعب . ومعنى هذا أن الأنظمة الاجتماعية والتشريعات الاجتماعية تتحدد وفقا لرغبة أبناء المجتمع وقرارهم الحر وفقا للمبدأ الديموقراطى بصرف النظر عن أنه مبدأ يعمل به بين المواطنين اليهود ولاينطبق على المواطنين العرب ، ولكن بصرف النظر عن هذا فالرؤية العلمانية للحكومة والدولة رؤية غربية تفصل بين الدين والدولة ، وتبعد الدين عن ممارسة سيادته فى المجتمع ، أما رؤية المتدينين للحياة الاجتماعية فهى رؤية دينية تقوم على أسس من أحكام التوراة وتشريعاتها ولاتعترف بالمبادىء السياسية الحديثة من ديموقراطية وسيادة شعبية وقوانين وضعية تنظم علاقات الأفراد ببعضهم البعض . فهذه العلاقات ينظمها الدين لا الدولة ، ودستور الدولة هو التوراة ، وكل فرد فى الدولة مسئول عن تنفيذ أحكام ووصايا التوراة على الأرض (٥٠).

ومن الواضح أن هاتين الرؤيتين للحياة الاجتماعية وأسلوب إدارتها يتناقضان تناقضا واضحا ، وقد كشف الجدل الذى ثار عند إنشاء إسرائيل حول صياغة الدستور خلال السنوات الأولى من قيام الدولة عن عدم القدرة على التوصل إلى اتفاق حول هذه المسألة المهمة والخطيرة ، وذلك لارتباطها المباشر بأسلوب إدارة الحياة الاسرائيلية وهل هو الأسلوب الدينى التوراتى أم أنه الأسلوب السياسى المدنى الدستورى ولذلك إتخذ قرار بتأجيل كتابة الدستور ووضعه من أجل حسم القضايا الأساسية واتفق أطراف الجدال على ألا يتفقوا . ويبدو أن هذا هو الأسلوب الاسرائيلى المفضل فى المسائل الخلافية حيث تترك المسائل لتحل نفسها بنفسها ، وهو

أسلوب خطير سيؤدى إلى إنشقاق كبير داخل المجتمـــع الإســـرائيلى بدأت معالمه تظهر إلى الوجود بعد دخول الصراع العربى الإســـرائيلى فى مرحلة المفاوضات فى الطريق إلى السلام . فقد كـــانت الحـــرب إحدى وسائل إسرائيل الأساسية لعلاج المشاكل الداخلية ، وكان العدو الخارجى هو الهدف الواحد المشترك ، وكان لابد من خلق هذا العـدو الخارجى إن لم يكن له وجود حتى توجه إليه الطاقـــات الإســـرائيلية علمانية أو دينية . والآن مر على إسرائيل ربع قرن بـــدون حـــروب مفتعلة مع العرب ودخلت المنطقة فى مرحلة جديدة هدفـــها تحقيـــق السلام . ومع ذلك فإسرائيل لاتزال تبحث عن مخرج خارجى لأزماتها الداخلية ، فهناك الجنوب اللبنانى رغم الفشل الإسرائيلى العســـكرى الكبير هناك ، ولايزال الصراع مع الفلســـطينيين قائمـــا ولايرغـــب الإسرائيليون فى علاجه والتوصل إلى سلام مع الفلسطينيين والعـــرب عموما لأن هذا فى النهاية سيؤدى إلـــى اختفـــاء العـــدو الخـــارجى والتفرغ للعدو الداخلى بما سيحدثه هذا من انشقاق اجتماعى وتدهور داخلى فى العلاقات بين طرفى المجتمع وهم العلمانيون مـــن ناحيـــة والمتدينون من ناحية أخرى . وهذا الصراع لن ينتصـــر فيـــه أحـــد ولايمكن أن يحسمه أحد ، ولذلك فهو صراع أزلى داخـــل المجتمـــع الاسرائيلى فلا العلمانيون سيقبلون الحياة فـــى دولـــة دينيـــة ، ولا المتدينون سيقبلون الحياة فى دولة علمانية تأخذ بدســـاتير وضعيـــة ولاتعترف بالتوراة كدســـتور للدولـــة وكأســـاس لأســـلوب الحيـــاة الاجتماعية ، ويبدو أن الوفاق فى مثل هذه المسألة غـــير ممكـــن . فالتنازل من الجانب المتدين معناه قبول الإطار العلمـــانى للدولـــة ، والتنازل من جانب العلمانيين معناه بداية الاعتراف بالشـــكل الدينـــى

للدولة مع الوضع فى الاعتبار بأن العلمانيين أغلبية مسيطرة على كل أجهزة الدولة ومؤسساتها . وإذا كان الفصل بين الدين والدولة مرفوضا عند المتدينين فإن الجمع بين الدين والدولة مرفوض عند غالبية المجتمع . ونضرب على هذا مثالا بمطالبة المتدينين أن يتبع كل اليهود فى الدولة – حتى لو كانوا علمانيين – الشرائع الدينية فى مجالات معينة من الحياة الاجتماعية مثل الزواج والطلاق والوصايا الخاصة بالسبت وطقوسه . وقد قبلت القيادة العلمانية هذه المطالب تحت الضغط الدينى وأخذ بمبدأ الإبقاء على الوضع القائم ، ومعنى هذا المطلب من المتدينين أنهم قبلوا التنازل عن فرض الشريعة اليهودية فى بقية مناحى الحياة الاسرائيلية ، ويتنازل العلمانيون عن مبدأ الحرية فى مجال الأحوال الشخصية ، ولاشك فى أن هذا القبول من الطرفين هو أشبه بالهدنة التى توقع بين طرفين متعاديين متناقضين ، ولأنها هدنة فهى وضع مؤقت سرعان مايسقط تحت ضغط الحياة الاجتماعية والمتغيرات التى يمر بها المجتمع الاسرائيلى.

٢ – مطالب اليهود المتدينين:

ومن المجالات التى يظهر فيها الخلاف الدينى العلمانى فى المجتمع الاسرائيلى المجال الخاص بمطالب اليهود المتدينين كجماعة خاصة داخل مجتمع علمانى حيث يصعب على اليهود المتدينين أن يطبقوا عاداتهم الدينية اليهودية فى مجالات عديدة مثل الحياة العامة والتعليم والجيش طبقا لرؤيتهم لهذه المجالات ، ويرغب المتدينون

فى السماح لهم بتطبيق العادات الخاصة بهم حتى إذا لم تتفق مع قيم وعادات المجتمع الإسرائيلى العلمانى.

وقد أدى هذا الوضع إلى نشأة جيوب دينيـــة داخـــل المجتمـــع الإسرائيلى فهناك مؤسسات دينية خاصة تبدأ من رياض الأطفال إلـــى الجامعة ، وهناك التعليم الدينـــى المنتشـــر فـــى مـــدارس ومعـــاهد وجامعات دينية يسيطر عليها ويديرها القطاع الدينى داخل المجتمع ، وهناك مسألة إعفاء الدارسين فى المدارس الدينية (يشـــيفوت) مـــن الخدمة فى الجيش الاسرائيلى (٥١).

وقد أدى وجود هذه الجيوب الدينية داخل الدولة إلـــى حـــدوث خلافات عامة تتكرر منذ قيام الدولة وحتى الآن ولاتستطيع الدولة أن تفكر فى القضاء على هذه الجيوب الدينية أو إلغائها . فكل المنظمات السياسية فى الدولة قبلت هذا الوضع أخذا بمبدأ تأجيل المشـــكلة لا حسمها . وعلى الرغم من محاولات إخفاء المشكلة أو التعامل معـــها بهذا الشكل السلبى فإن المسألة تتضخم يوما بعد يوم . وقد شـــهدت السنوات القليلة الماضية ظهور هذه المشكلة بشـــكل كبـــير وبـــدأت الأسئلة تطرح حول شكل الشارع الإسرائيلى بعد أن بدأت القيـــادات الدينية تهيمن على بعض القطاعات ، وتحاول فرض رؤيتها الدينيـــة بالقوة ، وفرض أسلوبها الدينى للحياة فى بعض أجزاء من المدينـــة الإسرائيلية أو من الشارع الإسرائيلى.

٣ - مسألة : من هو اليهودى؟:

وقد بدأ فى الظهور أيضا التساؤل الكبير: من هـو اليـهودى ؟ ومن المعروف أن القانون الإسرائيلى يتعامل مع مفهوم اليهودى مـن خلال قانون العودة ومن خلال تسجيل المواطنيـن وقـد أدى الجـدل حول هذين الأمرين إلى خلق توترات حادة بين المتدينين والعلمـانيين بل لقد أدت إلى سقوط بعض الحكومات الإسرائيلية . فقانون العـودة يرسم الطابع اليهودى للدولة ويحدد تسجيل السـكان الإطـار الـذى يرسم حدود المجتمع وهوية الأشخاص الذين يعيشون داخله (٥٢).

وتقوم الرؤية القومية اليهودية على هذين القـانونين . ويـرى البعض أنه من الممكن أن تشتمل القومية اليهوديـة علـى موقـف يهودى دينى وموقف يهودى علمـانى . وعلـى كـل حـال نشـأت صراعات سياسية وقانونية حول مسألة: من هو اليهودى ؟ هدفـها من ناحية رفض تقديم تفسير علمانى للقومية اليهوديـة فـى دولـة إسرائيل، ومـن الناحيـة القانونيـة والشـرعية اعتمـد المعيـار الارثوذكسى لتحديد انتماء المواطنين إلى القومية اليهوديـة داخـل إسرائيل . ومن المسائل المرتبطة بمسألة تحديـد اليهوديـة تحديـد صلاحيات حاخامات الاتجاهات الدينية اليهودية غير الأرثوذكية مثـل التيار الدينى المحافظ والتيـار الدينـى الاصلاحـى ، وبخاصـة لأن المسألة مرتبطة بشكل معقد بموضوع علاقات يـهود الداخـل فـى إسرائيل بيهود الخارج فى الولايات المتحدة الأمريكية وفـى الـدول الأوروبية حيث يوجد أكبر تجمع يهودى دينى إصلاحـى ومحـافظ ، وكانت المسألة المثارة هى عدم صلاحية الحاخام اليهودى المحـافظ

أو الإصلاحى للقيام بالتهويد فــى إســرائيل أو ممارســة الطقــوس الخاصة بالزواج والطلاق داخل إسرائيل على الرغم من أنهم يقومون خارج إسرائيل بكل هذه الأعمال داخل التجمعات اليهودية الأمريكيــة والأوروبية.

ومن ناحية أخرى هناك المشاكل المثارة حــول طبيعــة الحيــاة الإسرائيلية حيث نشأت صراعات دينية علمانية حول نمــط الحيــاة داخل إسرائيل مثل مايتصل بــالعمل فــى يــوم الســبت ، وتســيير المواصلات العامة ، والاعلانات التى تعرض جسد المرأة ومفاتنــها بشكل فاضح ، والمسائل المرتبطة بطقوس الدفــن ، وفــى النهايــة ينتصر مبدأ الوضع القائم فالمشاكل ليست قابلة للحــل والتنــازلات تكون على حساب المبدأ الدينى أو العلمانى ، والخلافات يحلها الأمــر الواقع حين تعرض على الأحزاب الدينية والعلمانية التى عادة ماتصل إلى قرار الإبقاء على الوضع القائم ، وهو قرار لايحل المشكلة ولكــن يدفنها كقنبلة موقوتة ستنفجر حيــن لايفلــح الوضــع القــائم فــى حلها(٥٣).

٤ - **الموقف من الحداثة والمعاصــرة:**

ومن أهم مواقف الخلاف بين المتدينين والعلمانيين فى المجتمــع الإسرائيلى الموقف من الحداثة والمعاصرة . وهذا الاختلاف مــوروث من حياة الجماعات اليهودية فى أوروبا والتى واجهت الحداثــة لأول مرة ، وكان رد الفعل تجاهها عنيفا ومثــيرا للجــدل فــى الأوســاط اليهودية . وقد انتهى الأمر إلى انشقاق اليهودية إلــى عــدة فــرق

تمسكت فيها الفرقة اليهودية الأرثوذكسية بطبيعة الحياة اليهودية التقليدية قبل ظهور موجة الحداثة ، بينما ظهرت فرق يهودية حديثة كان ظهورها بمثابة رد فعل ضد الموقف الأرثوذكسى المتشدد تجاه الحداثة ، ولذلك فظهور المذهبين الاصلاحى والمحافظ هو إحدى نتائج التقاء الثقافة اليهودية التقليدية بالثقافة الحديثة وبخاصة فى أوروبا الغربية وفى الولايات المتحدة الأمريكية أما الوضع فى دول أوروبا الشرقية فقد كان وضعا دراميا مأساويا حيث نظرت اليهودية الأرثوذكسية إلى الحداثة على أنها تعنى الفساد والدمار للحياة اليهودية والمعطيات اليهودية الأرثوذكسية . وقد نادت اليهودية المتشددة بإقامة حواجز تفصل بين العالم اليهودى الذى يجب الحفاظ عليه كما هو وبين العالم الخارجى المتغير حيث ينظر إلى قيم العالم الحديث على أنها قيم سلبية مدمرة (٥٤).

وكانت هذه نقطة خلاف رئيسية بين الاتجاه الدينى والاتجاه العلمانى . فقيم الحرية والرفاهية والانفتاح والاندماج والنفعية المادية والاجتماعية كلها تعتبر من الطبيعة الإنسانية حسب الفهم العلمانى بينما هى خطط لتدمير اليهودية من وجهة النظر الأرثوذكسية وهى ستؤدى فى النهاية إلى تدمير العالم كله.

ونتيجة لانعدام المنطق فى هذا الرأى الأرثوذكسى المتجمد أو المتشدد تجاه الحداثة ظهر تيار أرثوذكسى يهودى جديد سمى نفسه بالأرثوذكسية الجديدة Neo Orthodoxy حاول أن يعالج مشكلة الحداثة بأن يحث اليهود على أن يعيشوا وفقا لمعطيات الحياة الحديثة دون

أن يعرضوا دينهم للخطر ودون أن يغيروا فى ثوابت الفكـــر الدينـــى اليهودى التقليدى (٥٥).

وقد ظهرت الصهيونية داخل إطار هذا الصراع الدينى العلمـــانى وأدت إلى مزيد من الانقسام داخل المجتمع اليهودى وداخل إســـرائيل بعد قيام الدولة . وقد مثلت الصهيونية نفسها خطرا على اليهوديـــة التقليدية . فالصهيونية ظاهرة علمانية قادتها كانوا ولايزالـــوا مـــن العلمانيين ، وأنماط الحياة التى تم خلقها وبخاصة فى إسرائيل أنمـــاط علمانية ، وبذلك كانت الصهيونية ولازالت تمثل خطرا على اليهوديـــة حيث زادت من انتشار الفكر العلمـــانى بيـــن اليـــهود فـــى الداخـــل والخارج، ودعت إلى التحرر والتنوير ، وشجعت التيـــارات الدينيـــة المضادة للأرثوذكسية.

أما الصهاينة المتدينون فكانوا قلة ليس لها تأثير على مجريـــات الأمور، وقد دخلوا فى صراع مزدوج مع المعسكر المتدين والمعسكر الصهيونى العلمانى ، واتهموا المعسكر المتدين بالانغلاق والتخلـــف وتجاهل عمليات الإحياء والتحديث اليهودى ، كما طالبوا الجمـــهور الصهيونى العلمانى بأن يسمح بنشأة نمط حياة مدنـــى دينـــى كـــامل داخل المجتمع العلمانى . وقد برز تأثير الصهاينة المتدينين بين أبناء اليشوف وأنشأوا بينهم عدة أحـــزاب ، وتبنـــوا أشـــكالا اجتماعيـــة وسياسية جديدة فى مواجهة الجماعات العلمانية ، وفى الوقت نفســه تنازل الصهاينة المتدينين عن المطالبة بالفصل بين الديـــن والدنيـــا وعزل اليهودية عن العالم.

أما إقامة الدولة فقد اعتبره اليهود الأرثوذكس خطوة رئيسية في طريق تدمير الشعب اليهودى ، والدولة اعتبروها تمردا على إرادة السماء ومسيحانية كاذبة . وقد أدت أحداث النازى فى ألمانيا إلى موت عدد كبير من اليهود الأرثوذكس . وبدأ عدد من هؤلاء الأرثوذكس ينظرون إلى الدولة نظرة جديدة على أنها فرصة لتحقيق الخلاص من النازى وفرصة لاستئناف الحياة اليهودية ، ولكن بدون إضفاء أى معنى دينى على الدولة ، فهم يستفيدون من الخدمات التى تقدمها الدولة دون أن يعطوها أى مقبولية دينية، وهو نوع من عدم الاعتراف الدينى بالدولة من ناحية وقبول لخدماتها من ناحية أخرى. فهم يقبلون الأموال ويطالبون الدولة بسد احتياجاتهم وتتم الآن عمليات ربطهم بالدولة بشكل واقعى من منطلق المشاركة التى تستهدف خدمة مصالحهم مع تحمل المسئولية والالتزام تجاه الدولة(٥٧).

ويدخل هذا الأمر تحت إطار إبقاء الوضع على ماهو عليه ، والاعتراف بالواقع ، وتأجيل الحلول النهائية وبخاصة فى المسائل الخلافية التى ليست لها حلول نهائية ، وبذلك يبقى الخلاف موجودا وكامنا ينتظر الوقت المناسب للانفجار.

ولعل أخطر معالم الصراع بين المتدينين والعلمانيين فى المجتمع الإسرائيلى هو انفصال المجتمعين عن بعضهما البعض انفصالا يكاد يكون تاما ، وأصبحت علاقة المتدينين بالمجتمع الاسرائيلى العلمانى علاقة تباعد وعداء صريح.

أما موضوع انفصال المجتمع المتدين داخل إسرائيل عن المجتمع العلمانى فقد بدأ فى الظهور بشكل حاد بعد ثلاثة عقود من قيام إسرائيل حيث ظهر نسق تنظيمى داخل إسرائيل يسمح للمتدينين بالحصول على قدر كبير من القوة التى دفعت بهم إلى ممارسة المزيد من الإدارة المستقلة لشئونهم ، وبالتدريج أصبح المجتمع المتدين غير مرتبط بالمجتمع العلمانى حيث نشأت مؤسسات خاصة بالمتدينين فى كل شئون الحياة تقريبا ، فهناك مدارس وجامعات دينية تعمل فى عزلة واستقلال تام عن المدارس العلمانية، وهناك بنوك دينية يهودية خاصة بالمتدينين ، كما أن هناك أحياء سكنية خاصة وشركات متخصصة فى إنتاج الطعام الخاص باليهود المتدينين ، ويفضل أفراد المجتمع المتدين فى إسرائيل الحياة داخل إطار إجتماعى مستقل له خدماته المستقلة (٥٨).

كل هذه الأمور أدت إلى أن يصبح المجتمع المتدين أشبه بدولة داخل الدولة لها مؤسساتها الخاصة بها ولهم حياة اجتماعية جماعية، ولهم أحياء منعزلة وتجمعات سكانية خاصة ، ويدرس أطفالهم فى مؤسسات تعليمية خاصة . وقد أدى هذا الوضع إلى الحد من اللقاء بين المتدينين والعلمانيين ، فالشخص المتدين منذ طفولته ينشأ فى بيئة دينية منعزلة ويدخل مدارس دينية خاصة ، ويدخل جامعة دينية ، ويحصل على وظيفة دون أن يضطر إلى قضاء يوم واحد فى إطار غير دينى ، ووصل الأمر إلى حد أن شغل وقت الفراغ

وأشكال التنزه أصبحت مختلفة بين المجتمعين المتديـــن والعلمـــانى ولاتوجد فرصة للالتقاء الإجتماعى بين الفريقين.

ويشهد المجتمع الإسرائيلى ظاهرة جديدة على اليهوديـــة وهـــى تطور مجتمع دينى أشبه بمجتمع الرهبان الذى ينظر إلى نفسه علـــى أنه مجتمع متميز يمثل الزعامة والصفوة ويرى أن المثـــال الدينـــى لايمكن تحقيقة إلا من خلال الانفصال والانعزال عن المجتمع العـــادى وعن الحياة اليومية العادية . ويمكن القول أن هذا المجتمع المتديـــن المنعزل أصبحت له قيادته الدينية المستقلة والتى هى صاحبة التـأثير الحقيقى الكبير على الجماهير المتدينة وليـــس الدولـــة فـــى شـــكل زعاماتها السياسية . وتستمد هذه الجماعـــات المتدينـــة إحساســـها بدورها وبرؤيتها تجاه العالم من هذه الجماهير الدينية الخاضعة لها.

وقد أدى هذا الوضع إلى شعور المجتمع العلمانى فى إســـرائيل بالأزمة وشعور بعض أفراد هذا المجتمع بأن علاج هذه الأزمة يبـــدو فى العودة إلى الدين . وقد زادت هذه الأزمة حدة فى السنين الأخـيرة بعد أن بدأ المجتمع العلمانى يتعرض للهجوم الشديد مـــن المجتمـــع المتدين . ويرى البعض أن هناك حربا ثقافية بدأت فى التبلور داخـــل إسرائيل بين الدينيين والعلمانيين ، وبخاصة بعد بداية تدخل المجتمع المتدين فى شئون المجتمع العلمانى (٥٩).

ويظهر هذا الصراع الثقافى على أشده بين الشباب فى القطاعين المتدين والعلمانى ، فالشباب المتدين يـــرى فـــى نفســـه الزعامـــة

الحقيقية للمجتمع من الناحية القومية ويتهمون الشباب العلماني بأنهم انساقوا وراء العالم العلماني الذي أسسه الجيل السابق ، وهم يصفون هذا العالم بأنه مفلس وبلا ثقافة يهودية ، ويتمسك بالثقافة الغربية التي يجب التخلص منها ، وهو يرى في نفسه أيضا الدليل والمرشد لهداية العلمانيين إلى عالم اليهودية والسلوك اليهودي سياسيا وقوميا ودينيا واجتماعيا ، ويريدون فرض نمط الحياة الدينية الأرثوذكسية على الشارع الإسرائيلي . ويصفون هذا النمط بأنه نمط ثقافي يتصف بالاستمرارية والثبات في مقابل التغير الذي يصيب نمط الحياة العلمانية ، كما أنه يتصف بالقوة الاجتماعية كنمط يهتم بالبنية الاجتماعية المتدينة التي تقوى الشعور بالانتماء والثقة في مقابل الحياة العلمانية البعيدة عن مشاعر الانتماء.

لقد أدى هذا الموقف للمجتمع المتدين إلى حدوث توتر واضح وقلق داخل المجتمع العلماني ، وقد احتل المجتمع المتدين وضعا مزدوجا فهو يجمع بين الحياة على هامش المجتمع الاسرائيلي بعزلته عن العلمانيين ، كما أنه ينظر إلى نفسه باعتباره المركز الحقيقي للحياة الاسرائيلية والدليل أو المرشد إلى هذه الحياة الأمر الذي تسبب في تطور مواقف عدوانية واضحة تجاه المجتمع العلماني، ويستعير أحد المحللين الإسرائيليين مفهومي "أبناء النور" و"أبناء الظلام" لكي يعبر عن الرؤية الحقيقية للمجتمعين كل منهما إلى الآخر والحياة الاسرائيلية حياة صراع بين أبناء النور وأبناء الظلام (٦٠).



الفصل الخامس

وضع القدس فى الصراع الدينى

تمهيـــد :

لاشك فى أن قضية القدس تمثل قضية مستقلة بذاتها داخل إطار الصراع العربى الإسرائيلى . فعلى الرغم من أنها جزء من القضية الفلسطينية فإنها تمثل محورا رئيسيا مستقلا له أبعاده الخاصة ، وتعقيداته الشائكة وتأثيراته العامة على القضية برمتها . وفى نفس الوقت تعتبر مسألة القدس والمفاوضات بشأنها من أعقد المشاكل التى ستواجه العملية السلمية الجارية بعد انتهاء مراحلها الأولى والدخول فى مرحلتها الأخيرة المؤجله إلى نهاية المفاوضات ، وهى مرحلة التفاوض حول القدس والتى ستكون أخطر مراحل التفاوض على الاطلاق والتى إذا لم تسر فى طريق طبيعى وبدون عقبات حقيقية فربما يؤدى هذا إلى تدهور الأوضاع وانهيار كل مراحل التفاوض السابقة وعلى كل المسارات ، ولذلك نقول إن قضية القدس هى المحك الأساسى لنجاح المفاوضات السلمية أو فشلها ، وعلى الرغم من أن تأجيل المفاوضات حول القدس له تبريره السياسى المنطقى فإن عملية التأجيل ذاتها ليست فى مصلحة الجانب العربى الفلسطينى ، فالمدينة ، كما هو معروف واقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى الذى يتصرف فى المدينة وكأنها تحت السيادة الإسرائيلية الخالصة ، ويرتكب فيها كل الممارسات التى تمكنه من تهويد المدينة تهويدا كاملا خلال الفترة السابقة على بداية التفاوض بشأنها بحيث لايتبقى من القدس شىء قابل للتفاوض.

وللقدس بعد دينى يضيف المزيد من التعقيد إلــى وضعــها السياسـى الشائك ويجعل احتمالات نجاح المفاوضات بشأنها أمــرا مشـكوكا فيــه ، فإسرائيل تدعى أن المدينة مقدسة فى التــاريخ اليـهودى وفــى الديانــة اليهودية وتبنى على هذه القداسة أطماعا أزلية جعلتــها تعلــن مــرارا أن القدس عاصمة أبدية لاسرائيل ، وهذا يعنــى أن العــرب مــن المسـلمين والمسيحيين ليست لهم حقوق دينية فى المدينة ، وتعتبر عمليات التــهويد المستمرة إحدى الوسائل الأساسية التى تعتمد عليها إسرائيل فــى طمــس المعالم الاسلامية والمسيحية وإبراز الوجه اليهودى للمدينة علــى حسـاب أصولها العربية.

إن الصراع على القدس صراعان فى نفس الوقت :

<u>الأول</u> : صراع سياسى حيث تطالب إسرائيل بالمدينة عاصمة سياسية لها.

<u>الثانى</u> :صراع دينى لأن اليهود يدعــون قدسـية المدينــة فــى اليهود ويطالبون بها عاصمة دينية أزلية ، ولذلك فهناك مستويات لقضيــة القدس :المستوى السياسى كمدينة متنازع عليها سياسيا بين العرب الفلسطينين وإسرائيل ، والمستوى الدينى كمدينة متنازع عليها بين اليهود والمسلمين.

هذه هى أوضاع القدس الحالية ، وهى أوضاع خطيرة تثــير الشـكوك القوية فى إمكانية الوصول إلى حل سلمى لها داخل إطار المفاوضات وفــى ظل حكومة إسرائيلية يمينيه متحالفة مع اليمين الدينى المتطرف الممثل فــى الأحزاب الدينية المتطرفة وفى ظل سياسات حزبية تختلف فى كــل شــىء وتتفق بشأن المستقبل اليهودى للقدس.

أولاً : سياسة حكومة الليكود تجاه القدس

وفي الصفحات التالية نناقش أثر قضية القدس علي العملية السلمية في ضوء توجهات حكومة الليكود وسياستها الخاصة بالقدس ، وموقفها الدينى الأيديولوجى ، واستراتيجيتها الإستيطانية ، والممارسات التهويدية القمعية فى المدينة والسياسات التنفيذية الجارية من أجل إتمام عملية التهويد على المستوى الديموجرافى ، وأيضًا على المستوى الاستيطانى والمستوى التهويدى الدينى .

وبداية نؤكد على اتفاق الحزبين الرئيسيين فى إسرائيل على سياسة واحدة تجاه القدس ومستقبلها ومحور هذه السياسة أن القدس الكاملة عاصمة إسرائيل الأزلية هى مدينة واحدة موحدة تحت سيادة إسرائيل وغير قابلة للتقسيم ، ويتفق الحزبان أيضًا على إحباط أية محاولة تمس بوحدة القدس ، وعلى منع أى نشاط يؤثر على السيادة المطلقة لإسرائيل عليها ، كما يتفق الحزبان على منح كل الحريات لبلدية القدس للعمل على تهويد المدينة بكل الوسائل الممكنة ، وتدبير كل الأموال اللازمة لتشجيع الاستيطان فى القدس ، ودعم المكانة الاقتصادية والاجتماعية للقدس الموسعة (٦١).

والهدف الحالى لحكومة الليكود استكمال عملية تهويد القدس الكبرى الموسعة الخالصة من خلال الدمج التام بين شرق المدينة وغربها ، وتحويل الأحياء العربية إلى مناطق منعزلة مفتتة إلى وحدات سكنية صغيرة ، وإيجاز عملية تطويق القدس بالحزام الإستيطانى ، وقطع التواصل الجغرافى بين المدن العربية فى الضفة وتمزيق الوحدة الجغرافية للضفة الغربية ، وتعمل حكومة الليكود الحالية على تنفيذ مشروع شارون القديم

الذى يتضمن إقامة ١٨ مستوطنة يتم بها حصار القدس وسد الفجوات بين الأحياء اليهودية فيها ، وإقامة طوق استيطانى حول الأحياء العربية ، وتسمى سياسة شارون الاستيطانية فى القدس بثنائية الأحزمة والبؤر ، وذلك لتطويق التجمعات العربية بالمستوطنات ثم الاندفاع إلى الداخل عن طريق البؤر الاستيطانية لتفتيت التجمعات العربية (٦٢).

والنتيجة التى سيصل إليها هذا الوضع الخاص بالقدس حتى عام ٢٠٠٠م أن المدينة ستصبح مدينة يهودية خالصة مع وجود بعض التجمعات السكانية الضعيفة للفلسطينيين ، فسياسة الاستيطان فى القدس سياسة تقوم على اعتبارات قومية بحتة تهدف إلى إيجاد واقع ديموجرافى جديد للمدينة وواقع جغرافى يحبط كل الجهود التى ستبذل فى المفاوضات النهائية حول المدينة ويؤدى إلى وأد المفاوضات المستقبلية فى مهدها بتحقيق السيادة الإسرائيلية الكاملة على المدينة.

ثانيا : وسائل تهويد القدس:

ارتكبت السلطات الإسرائيلية ولاتزال العديد من الممارسات التهويدية القمعية التى تمثلت فى عدد ضخم من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية المخالفة لكل الاتفاقات الدولية وبخاصة اتفاقات جنيف وحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة.

ومن أهم وسائل تهويد القدس ما يلى (٦٣):

١ - اللجوء الى إرهاب المواطنين من أهل القدس وارتكاب المجازر وقتل وتشريد الأهالى وطردهم لتفريغ المدينة من سكانها العرب .

وقد بدأت هذه العملية بمجزرة دير ياسين بالقرب من القدس حيث قتل ٤٠٠ فلسطيني ، وتم تشريد ٦٠ ألف من سكان القدس بعد احتلال الجزء الأكبر من المدينة عام ١٩٤٨ . وفي حرب ١٩٦٧ قتل ٣٠٠ وتم تشريد خمسة آلاف فلسطيني من سكان القدس.

٢ - هدم العقارات ونسف المنازل في الحي الغربي وتشريد ١٣٥ عائلة(٦٤).

٣ - ضم القدس إداريا وسياسيا لسيادة إسرائيل اعتبارا من ١٩٦٧/٦/٢٨ وإعلان توحيد القدس وتكريس جعلها عاصمة لإسرائيل.

٤ - حل مجلس أمانة القدس العربي المنتخب ومصادرة سجلاته وأملاكه ولإبعاد أمين القدس إلى الأردن في ١٩٦٨/٣/٧م.

٥ - إلغاء القوانين الأردنية واستبدالها بالقوانين الإسرائيلية بداية من ١٩٦٧/٦/٢٨م.

٦ - مصادرة ونزع الملكيات في الأحياء العربية وغلق المحال التجارية والمدارس والمساجد(٦٥).

٧ - إجراء الحفريات حول الحائطين الغربي والجنوبي للحرم القدسي والمسجد الأقصى وهدم العقارات الأثرية(٦٦).

٨ - إحراق المسجد الأقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١م والاعتداءات المتكررة على الحرم القدسى وإقامة الصلوات اليهودية فيه.

٩ - الاعتداءات المتكررة على الكنائس المسيحية ومن بينها كنيسة القيامة ودير الأقباط وسلب أملاك الكنائس وطرد السكان المسيحيين.

١٠ - إغلاق البنوك العربية ومصادرة أموالها ، وإجبار الفلسطينيين على التعامل مع البنوك الإسرائيلية ، ودمج الاقتصاد الفلسطينى بالاقتصاد الإسرائيلى.

١١ - إخضاع التعليم العربى للتعليم الإسرائيلى وإرهاب رجال التعليم فى القدس وإغلاق الكليات (٦٧).

١٢ - فرض أحكام القوانين الإسرائيلية على أصحاب المهن والتجار والشركات.

١٣ - منع حق العودة للفلسطينيين إلى القدس ومصادرة أملاكهم.

١٤ - إغلاق المستشفيات ومراكز الخدمات الطبية الحكومية فى القدس وإجبار الفلسطينيين على التعامل مع المراكز الطبية الإسرائيلية.

١٥ - إغلاق مكاتب الشئون الاجتماعية بالقدس وإخضاع الجمعيات الخيرية لإشراف مكتب الخدمات الإسرائيلية.

١٦ - تغيير أسماء الشوارع في القدس وطمس الأسماء العربية والإسلامية.

١٧ - إقرار تنظيم جديد للمدينة يسمح بإزالة الأجزاء العربية وإجلاء الأهالى (٦٨).

١٨ - نقل ملكية شركة الكهرباء إلى بلدية الإحتلال الإسرائيلى.

١٩ - إعلان مشروع القدس الكبرى.

٢٠ - إبعاد الشخصيات المشهورة عن القدس.

٢١ - الاعتقال والسجن والتعذيب للمواطنين الذين لم يرحلوا من القدس(٦٩).

٢٢ - فتح باب الهجرة اليهودية إلى القدس ومنع عودة العرب إليها ورفع نسبة التملك الإسرائيلى للأراضى والعقارات.

٢٣ - صدور قرار الكنيست فى ١٩٨٠/٧/٣٠ بجعل القدس الموحدة عاصمة أبدية لاسرائيل (٧٠).

٢٤ - السماح للمتطرفيـــن اليـــهود بـــالدخول إلـــى ســـاحات المســـجد الأقصى(٧١).

٢٥ - الترحيل السرى للفلسطينيين من القدس الشرقية وفقدان حق الإقامة بالمدينة من خلال سياســـات إداريـــة ظالمـــة أدت إلـــى حرمـــان الفلسطينيين من منازلـــهم وأهليـــهم (٧٢) واعتبـــارهم مـــهاجرين يحملون اذن إقامة من إسرائيل يفقدونـــه إذا انتقلـــوا إلـــى خـــارج المدينة (٧٣).

٢٦ - خلق واقع ديموجرافى جديد فى القدس من خلال عمليات الـــترحيل السرى تصبح معه المدينة يهودية خالصة وتفرض أمرا واقعا علـــى المفاوضات المستقبلية بشأن القدس (٧٤).

ثالثـا : الاحتمـالات المستقبلية حتى عـام ٢٠٠٠م وتأثيرهـا علـى العملية السلمية:

وأمام هذه السياسة الاستيطانية الساعية إلى تحقيق السيطرة التامـــة لإسرائيل على القدس بعد تهويدها لايبقى للمفاوض العربـــى والفلســـطينى شىء يمكن التفاوض عليه فى القدس وبخاصة لأن أعمال التهويد تتم فـــى سرية تامة ، وبمختلف الوسائل وتحت كل المسميات . وهى عملية لايمكـــن السيطرة عليها أو حتى مراقبتها عربياً أو دوليـــا ، أو منعـــها فـــى حالـــة اكتشافها واعتقادى الشخصى أنه مع قدوم عام ٢٠٠٠ م ستكون القدس قـد أصبحت بالفعل مدينة يهودية خالصة ، وسيتم نقل السفارة الأمريكية إليها ، ومن خلال الضغوط الصهيونية والأمريكية سترضخ بعض الدول الأوربيـــة

وغيرها وستقوم بنقل سفاراتها إلى القدس لكى تصبح القدس عاصمة فعلية لإسرائيل.

هذا التصور المستقبلى لوضع القدس حتى عام ٢٠٠٠ يتركنا أمام عدد من التوقعات المستقبلية لردود الأفعال الفلسطينية والعربية والإسلامية والتى ستترك تاثيرا مباشرا على العملية السلمية . وفيما يلى تصور للاحتمالات الممكنة:

١ - الاحتمال الأول :

وبداية نستبعد إمكانية إنجاز المفاوضات وإتمام عملية السلام على كل المسارات وفى مواعيدها المحددة . فالسياسة الإسرائيلية تقوم على أساس من المماطلة والتسويف وخلق العقبات وعدم الوفاء بالاتفاقات السابقة التى التزمت بها حكومة العمل . ونعتقد أن هذا السلوك السياسى الاسرائيلى مقصود للاستفادة منه بشكل مباشر فى قضية القدس . فكلما طالت المفاوضات وتعثرت وكثرت المشاكل والعقبات المدروسة كلما كسبت إسرائيل وقتا إضافيا مطلوبا لاكمال تهويد القدس ، فهو العمل الرئيسى للحكومة الإسرائيلية الحالية ومن أجله تعمل الحكومة جادة لتعطيل كل مسارات التفاوض من أجل كسب الوقت لتحقيق الفوز فى معركة القدس القادمة . لهذا السبب نقول أن الاحتمال الأول وهو تحقيق العملية السلمية احتمال ضعيف وصعب المنال فهدف الليكود السياسى فى المرحلة الحالية إكمال تهويد القدس وبعدها سيعود المفاوض الاسرائيلى ليفاوض بجدية على كل المسارات لأنه ضمن

مسار القدس تماما بفرض الأمر الاستيطانى الواقع ، وتحقيق التهويد الكامل للمدينة بل ونتوقع إعلانها عاصمة ابدية لإسرائيل وتنفيذ هذا الاعلان وذلك لكى تسقط كل دعاوى الفلسطينيين والعرب والمسلمين فى المدينة ، وتسقط معها كل قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقدس كما سقطت قبلها عشرات القرارات وأصبحت بلا مفعول من خلال سياسة الأمر الواقع التى يفرضها الإسرائيليون دائما وابدا ويقف أمامها العالم عاجزا ثم يقبلها رغما عن أنفه بعد ذلك.

٢ - الاحتمال الثانى:

أما الاحتمال الثانى فهو يتلخص فى إمكانية حدوث تاثير سلبى لقضية القدس على التسوية السلمية حتى عام ٢٠٠٠ وهذا الاحتمال الثانى سيؤدى إلى أحد ردود الفعل التالية وهى: إما تجميد عملية السلام تجميدا تاما وعلى كل المسارات ، **أو نسف عملية** السلام والعودة الى مرحلة ما قبل مفاوضات السلام.

هذا الاحتمال الثانى يحتاج إلى مناقشة على كل المستويات السياسية ويجب أن يصبح موضوعا للنقاش فى كافة الدوائر والمؤسسات السياسية العربية والاسلامية من الآن لأن ما نتوقعه هو أن القدس بعد التهويد سيصبح من الصعب التفاوض حولها وربما تنتهى المفاوضات على كل المسارات إلى تحقيق سلام سرعان ما يتبخر أمام اكتشاف حقيقة التهويد الكامل للمدينة وربما إعلانها عاصمة أبدية موحدة لاسرائيل عام ٢٠٠٠م.

وأمام هذه الحقيقة المستقبلية يصبح الاحتمال الثانى هو الأقوى فإن القدس سيكون لها بلا أدنى شك تأثير سلبى على العملية السلمية . ولنا أن نتصور أمام هذا الاحتمال القوى حجم هذا التأثير السلبى والذى سيتراوح بين عدة أمور:

الأول : تجميد العملية السلمية بعد انتهاء المفاوضات على كل المسارات . والأمر الثانى نسف العملية السلمية . والأمر الثالث اتخاذ موقف وسط بين التجميد والنسف . والنتائج المترتبة على هذه الاحتمالات من الجانب العربى والفلسطينى اما احياء الانتفاضة بشكل قوى وفعال فى الضفة وغزة وذلك فى حالة الاكتفاء بتجميد العملية السلمية ، أو نشوب حرب جديدة يصح لنا أن نسميها من الآن حرب القدس لأن القدس ستكون الدافع الرئيسى اليها والسبب الأهم من اسبابها.

أما فيما يتعلق بالتأثير السلبى المؤدى الى تجميد العملية السلمية ، فهو – إن حدث – تجميد يأتى بعد ربع قرن من المفاوضات السلمية استقرت فيه نسبيا العلاقات المصرية الاسرائيلية والعلاقات الاردنية الاسرائيلية وربما تؤدى المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية ، والاسرائيلية السورية ، والاسرائيلية اللبنانية الى توقيع معاهدات سلام بين اسرائيل وهذه الاطراف العربية . ومن المحتمل أيضا أن تكون الهرولة فى التطبيع من جانب بعض الدول العربية قد أدت الى دخول اسرائيل فى علاقات طبيعية مختلفة مع عدة أطراف عربية بالاضافة الى دول الجوار .

مع هذا التصور المستقبلى للعلاقات خلال السنه المتبقية من القـرن العشرين يصعب أن نرى كل هـــذه العمليـات السياسـية - التـى استغرقت ربع قرن - تتجمد فجأة وتتوقف وتصبـــح بــلا مفعــول وكأنها لم تكن . ويجب أن ندرك أن التجميد هنا هو مجرد مرحلـــة سابقة على النسف التام للعملية الســلمية واسـقاط كـل نتائجـها والعودة بالمنطقة من جديد الى سياسة القوة والحـرب ، فـالتجميد مـا هو إلا تهديد لاسرائيل ومطالبة لها بضرورة تغيير سياســتها فى القدس . ولأن رد الفعل الاسرائيلى سيكون سلبيا ورافضا بعـد تمام تهويد القدس فإن احتمالات فشل سياسة التجميد العربية كبيرة ولا يبقى بعد فشل عملية التجميد سوى الدخول فى مرحلة اللاسـلم والعودة منها إلى مرحلة الحرب.

ولاشك أن قوة رد الفعل العربى والاسلامى هى التـى سـتحدد طبيعة تأثير قضية القدس على العملية السلمية . وقد أضفنا هنـا رد الفعل الاسلامى الى رد الفعل العربى لأن القدس - مـن بيـن كـل مشاكل الصراع العربى الاسرائيلى - لها بعد دينى لايمكن إغفاله أو إهماله . وقد يكون لهذا البعد الدينى دور حاسم فـى حـل مشـكلة القدس أو فى تفاقم المشكلة وتعقدهـا . فالمسـألة هنـا مرتبطـة بمشاعر دينية قد لايمكن التحكم فيها أو ضبطها كما يتم التحكم فـى المسائل ذات الطابع السياسى . فالشارع العربى والاسلامى يزخـر بكافة التيارات والاتجاهات التى ستتخذ من القـدس ذريعـة دينيـة لمعارضة الحكومات ، وإظهار ضعفها ، وعدم قدرتها على مواجهـة إسرائيل فى قضية القدس . ومن ناحية أخرى القدس لها مكانتـها

الخاصة فى وجدان كل مسلم وضياعها سيثير الرأى العام العربى والإسلامى ، ويحرك الضغينة والكراهية ضد الاسرائيليين واليهود عموما الأمر الذى يمثل عامل ضغط قوى على الحكومات العربية والإسلامية ويدفعها دفعا الى اتخاذ القرار الفعال فى شأن القدس.

ونعتقد أن الفلسطينيين أولا والعالم العربى والاسلامى ثانيا لن يقف مكتوف الأيدى فستجبره الضغوط الداخلية والخارجية على التحرك واتخاذ المواقف السياسية الحاسمة والتى نتصور أضعفها فى عودة الانتفاضة الفلسطينية وأقواها فى نشوب حرب حول القدس.

انتفاضة القدس:

ولاشك فى أن الانتفاضة ستمثل رد الفعل الفلسطينى الأول تجاه قضية القدس وفشل المفاوضات بشأنها بعد تمام تهويدها . وهى رد الفعل الأول لأن الانتفاضة أصبحت ظاهرة فلسطينية . فبعد أن نجحت الانتفاضة الأولى ورسمت مكانها على خريطة المقاومة الفلسطينية أصبحت ظاهرة متكررة تحدث بعد كل حدث سياسى اسرائيلى مستفز للفلسطينيين ومضطهد لهم والانتفاضة سلاح فعال فهو شكل من أشكال المقاومة البسيطة عسكريا وذات التأثير الفعال معنويا . فهى تمثل عامل ضغط نفسى كبير وتؤدى الى تعرية المجتمع الاسرائيلى وكشفه أمام العالم كما حدث فى الانتفاضة الأولى الكبرى وفى كافة الانتفاضات الصغرى التى وقعت بعد ذلك.

ولاشك فى أن الانتفاضة كوسيلة للمقاومة قد تركت أثرا فعالا وفى عدة اتجاهات فلسطينيا واقليميا ودوليا . فقد كان لها دور فى توحيد الفلسطينيين وتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينيين ، وتغيير موقف الفلسطينيية من عرب إسرائيل وتحقيق مشاركتهم فى القضايا الفلسطينية وغيرت الانتفاضة أيضا من مواقف بعض الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية والمنظمة ، كما أحدثت الانتفاضة جدلا واسعا فى إسرائيل وخلقت تيارا إسرائيليا جديدا يرفض سياسات القمع الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة . وبالاضافة الى هذا تطورت بسبب الانتفاضة نظرة دولية جديدة إلى القضية الفلسطينية تدفع الى العمل على تسويتها (٧٥).

هذه الآثار السياسية الايجابية للانتفاضة نتوقع فى حالة تكرارها بسبب القدس أن تكون لها آثار أعظم فالقدس لها مكانة دينية عظيمة عند العرب والمسلمين عموما ولاشك فى أن الانتفاضة بسببها ستحدث تأثيرا فعالا فى السياسة الإسرائيلية والدولية وفى المواقف الفلسطينية والعربية والإسلامية وسيكون لها دور كبير فى إنقاذ القدس من الضياع.

حرب القدس:

ومن انتفاضة القدس يمكن أن تتحول المقاومة الفلسطينية المحدودة إلى حرب من أجل القدس . وهناك عدة عوامل يمكن أن تؤدى الى نشوب حرب عربية إسرائيلية بسبب القدس . ومن أهم هذه العوامل الاحتمال المتوقع برفض إسرائيل لكل الضغوط السياسية الداخلية والخارجية وعدم استجابتها للأطراف العربية ، واتخاذها قرار نقل العاصمة الى القدس وبتأييد أمريكى ، وعدم رضوحها للانتفاضة الفلسطينية المتوقعة واتخاذ

الإجراءات الحاسمة لقمعها من خلال السياسات التى استخدمت سـابقا فـى مواجهة الانتفاضة الأولى.

والعامل الثانى الذى سيؤدى الى حرب القدس عامل إسـلامى يتصـل بالمكانة الدينية للقدس وما يمثله ضياعها - بعد تهويدها - من عامل ضغط شديد على الحكومات العربية والإسلامية . وهذا بالاضافة الـى رد الفعـل الإسلامى الشعبى العظيم المتوقع من الشعوب الإسلامية فى حالـة ضيـاع القدس وأيضا ما يمكن أن يسفر عن ضياع القدس من رد فعل عسكرى مـن جانب المقاومة الفلسطينية التى تمثلها الجماعات الفلسطينية ذات التوجـه الإسلامى مثل حركة حماس أو ذات الارتباط بإيران مثل جماعة حـزب الله فى لبنان . وقد تمثل ردود فعل حماس وحزب الله الشرارة الثانية بعد قيـام الانتفاضة الفلسطينية . وإذا لم يتم التحكم فى الأمور بسرعة على المستوى الفلسطينى والإسرائيلى فإمكانية نشوب الحرب واتساع دائرتها أمر متوقـع بشكل كبير.

والعامل الثالث الذى قد يؤدى الى نشوب حرب القـدس هـو احتمـال إعلان القدس عاصمة لإسرائيل فى عام ٢٠٠٠ . فمع اكتمال تهويد المدينـة وتحقيق السيطرة الاسرائيلية الكاملة عليها ستعلن إسرائيل اتخـاذ القـدس عاصمة موحدة لها . والمعروف أن القرار تم اتخاذه بالفعل واعتماده مـن جانب اسرائيل وبتأييد واضح من الكونجرس الأمريكى الذى اتخذ قرار نقـل السفارة الامريكية الى القدس . ولايبقى على تحقيـق هـذا الامـر سـوى التنفيذ. ونعتقد أن عام ٢٠٠٠ م سيكون الموعد المناسب والمغرى لاتخـاذ هذه الخطوة الجريئة حيث يمثل عام ٢٠٠١م بداية الفيـة جديـدة ملهبـة

للحماس المسيحانى ، ومولده للأساطير والخرافات الشعبية ، ومثيرة للحماس الدينى وللمشاعر الدينية ، ومرتبطة فى نفس الوقت بالتراث المسيحانى فى اليهودية الذى يتوقع أحداثا دينية ضخمة مع بداية كل ألفية. وستركز عناصر اليمين المتشدد والأحزاب الدينية المختلفة والاتجاهات الأصولية اليهودية على هذه المناسبة الدينية وتجعل من اتخاذ القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل ذروة الآمال المسيحانية مع بداية الألفية الثالثة ومتممة للأحداث التى بدأت بقيام دولة اسرائيل ١٩٤٨م وستنتهى حسب الفكر المسيحانى المرتبط بالدولة باتخاذ القدس عاصمة لها.

ويؤكد على قوة هذا الاحتمال الازدياد الواضح فى قوة المتدينين فى إسرائيل وارتفاع شأن الأصوليين اليهود ، وزيادة حدة الصراع بين المتدينين والعلمانيين ، وبداية ظهور توجه علمانى لإسرائيلى نحو الدين أو ما يمكن تسميته بعودة علمانية إلى التدين . ويؤكد هذا كله ويدعمه أصولية صهيونية مسيحية أمريكية مبنية على أساس عقدى يرى أن شرط قدوم المسيح جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . وتقف هذه الأصولية المسيحية الأمريكية وراء الدعوة القوية إلى نقل السفارة الأمريكية إلى القدس . ولايخفى أن كبار الأصوليين الأمريكيين يتنبأون بقيام حرب شرسة ستكون نتيجتها انتصار خرافى وتحقق جمع الشتات اليهودى فى فلسطين(٧٦) وتحقق قيامه المسيح . ويؤمن بهذه العقيدة بعض كبار المسولين فى الحكومة الأمريكية ويعملون على تحقيق هذه النبوؤات من خلال توجيه السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وفى فلسطين على وجه التحديد وفى القدس على الوجه الاكثر تحديدا . وقد تكون الحرب فى هذا الاعتقاد الاصولى المسيحى الامريكى هى حرب القدس القادمة.

إذن يمكن تلخيص عوامل قيام حرب القدس فى أولا تمسك إسرائيل بسياستها الخاصة بالقدس واتخاذها عاصمة بعد تمام تهويدها وعدم استجابتها للضغوط العربية والدولية . وثانيا فى درجة قوة رد الفعل العربى والإسلامى تجاه ضياع القدس بعد التهويد وإعلانها عاصمة . وثالثا فى تنفيذ قرار إعلان القدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأمريكية وربما سفارات دول ألخرى بالفعل إلى القدس . والتدخل الأمريكى لدعم هذه الخطوة.

إن الحديث عن حرب قادمة من أجل القدس ليس حديث خرافة ، فإن من بين الباحثين من يعتقد أن الصراع حول القدس سيكون أحد الملامح السياسية البارزة خلال القرن الحادى والعشرين ، وأن الصراع عليها لن يكون فقط صراعا عربيا إسرائيليا ولكنه سيصبح صراعا يهوديا مسيحيا إسلاميا . وفى هذا الشأن يقول الأستاذ وليد الخالدى "ليس هناك كثير مما يدعو إلى التفاؤل بالنسبة إلى مستقبل القدس ، والخطر الذى يحدق فى وجهنا يكمن فى الذكريات على مختلف مستويات الوعى على الجانبين ، ذكريات نبعت من الصراع التاريخى بشأن القدس ، وهى تذهب بعيدا إلى الوراء إلى ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، وهكذا يمكن لتضافر هذه الأوضاع كلها أن يوفر جوا تتحول القدس فيه فعلا إلى محفز على مواجهة مديدة تمتد طويلا فى القرن الحادى والعشرين حيث تصطف قوى المسيحية الغربية واليهودية فى جانب ، وقوى الاسلام والمسيحية العربية فى الجانب الآخر(٧٧)".

لاشك فى أن الوضعية التاريخية والدينية الخاصة بالقدس ومكانتها فـى الصراع بين الغرب والإسلام تعتبر مؤشرا لمستقبل المدينـــة فـى القـرن الحادى والعشرين ، ولاشك أيضا فى أن الغرب المسيحى منحاز لإســرائيل فى مسألة القدس ، وانحيازه لايعبر عن ود أو حب لليهود بقدر مايعبر عـن رغبة غربية مسيحية أكيدة فى أن تخرج المدينة من حـــوزة المســلمين ، وهناك قطاع من المسيحيين الغربيين منحاز إلى إسرائيل بدوافع صهيونيـــة غير يهودية ، فالصهيونية المسيحية التى يتبناها الانجيليـــون الأمريكيـــون وغيرهم من الفرق البروتستانتية تربط القدوم الثانى للمسيح عليه الســـلام بجعل فلسطين وطنا يجتمع فيه الشتات اليهودى ، وبالتالى يعطـــى للقـــدس مكانة خاصة فى هذه الصهيونية المسيحية وعلى يدها سيدخل المســـيحيون الغربيون كطرف دينى أصولى فى قضية القدس ضد المسلمين فى تضـــامن مع اليهود الذين هم موضوع النبوءة المسيحية الأصولية فجمـــع شـــتاتهم أصبح مسألة عقيدية وليست مجرد آمال سياسية أو أطماع استعمارية.

ويجب أن ندرك أن الولايات المتحدة الأمريكية هى التى ستقود العـــالم المسيحى الغربى فى الصراع من أجل القدس وإتمام توحيدها تحت الســـيادة الإسرائيلية حتى تكتمل النبوؤه الإنجيلية ، فالسياسة الأمريكية فى فلســطين والقدس محكومة بدوافع دينية قوية رغم المظهر السياسى الذى تبدو عليـــه هذه السياسة . فالولايات المتحدة الأمريكيـــة بروتسـتانتية المذهـــب فـــى معظمها وإنجيلية فى توجهها الدينى ، أى أنها بلد تتحكـــم فيـــه الأصوليـــة الدينية المسيحية المؤمنة بفلسطين والقدس كموطن لجمع شتات اليـــهود ، وهنا التقت سياسيا مصالح الصهيونية اليهوديـــة مـــع المطـــالب الدينيـــة للأصولية الإنجيلية . فالأولى تسعى إلى الاستفادة من هذا البعد الدينى فـــى

الأصولية الإنجيلية لتحقيق الآمال السياسية للصهيونية ، والثانيـــة تســـتغل الأوضاع السياسية الحالية فى فلسطين والقدس لتحقيق الآمال الدينية بتمـــام جمع الشتات اليهودى وتحقق قدوم المسيح عليه الســـلام . وبيـــن الآمـــال السياسية لليهود والآمال الدينية للإنجيلية ستصبح القدس بـــؤرة الصـــراع ومحوره فى القرن الحـــادى والعشـــرين ، وســـتتفق المصـــالح اليهوديـــة والإنجيلية فى فلسطين ضد المصالح العربية والإسلامية ، وســـتصبح فـــى القرن القادم البعد الدينى للصراع حول القـــدس بعـــد أن ســـيطرت عليـــه السياسة فى القرن العشرين . وسيتضح القدس موضوعا للصـــراع الدينـــى بين المسيحية الغربية والإسلام ، وبين اليهودية والإسلام ، وبين المســـيحية الغربية والمسيحية الشرقية ، فهو إذن سيكون صراعا دينيا متعدد الأبعـــاد ولايمكن من خلاله التكهن بمستقبل القدس فى هذا القرن القادم.

ولكن الصورة القائمة البادية الآن لاتدعو إلى التفـــاؤل فربمـــا يكـــون القرن الحادى والعشرين بداية خراب جديد للقدس بعد مرور ألفى عام علـــى آخر خراب لها فى القرن الأول الميلادى ، فهل القدس على موعد جديد مـــع ألفية جديدة ومع خراب جديد .

وهل هو موعد للقدس مع بداية كل ألفية جديدة ؟ ففى عام ٧٠م مـــن بداية الألفية الأولى بعد الميلاد تم خراب القدس على يد الرومـــان ، وفـــى ١٠٩٥م مع بداية الألف الثانى الميلادى جاءت الدعوة إلى حملة صليبيـــه مسيحية لاسترداد القدس وإعادتها إلى الســـيادة المســـيحية وتزعـــم هـــذه الدعوة البابا أوربانوس الثانى فى كلير مونت بفرنسا فى نوفمبر ١٠٩٥م ، وتم احتلال القدس فعلا عام ١٠٩٩م . وهانحن على أعتاب الألفية الثالثـــة

وأوضاع القدس تشير إلى دخول المدينة فى عصر خراب جديد تتحد فيه الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية لكى يرسما معا مستقبلا موحشا وغامضا للمدينة المقدسة ، ولعل هذا يفسر ظاهرة التركيز الصهيونى الشديد فى الوقت الحالى على تشويه صورة الإسلام والمسلمين وبخاصة فى نظر الغرب المسيحى ، والتركيز أيضا على إبراز العداء التاريخى بين الغرب وحضارته وبين الشرق العربى الإسلامى وحضارته لإظهار الشرق المسلم فى صورة العدو الجديد والخطر المهدد للغرب وحضارته بعد إنهيار الشيوعية وكبديل لها يتوجه إليه التحدى الغربى.

ملاحظات عامة على طبيعة السياسة الإسرائيلية تجاه القدس:

هذه الاحتمالات السابقة التى قدمناها تعتمد على أدلة من طبيعة السياسة الإسرائيلية حول القدس حيث يخرج الملاحظ المدقق للسياسة الإسرائيلية فى القدس بعدة ملاحظات تشير إلى استراتيجية ثابتة لاتتأثر بالعوامل المحيطة بالصراع العربى الإسرائيلى . ومن أهم هذه الملاحظات مايلى:

١ - لا توجد فوارق جوهرية بين الأحزاب السياسية الإسرائيلية فى موقفها تجاه القدس . وهذا يعنى أن إمكانية التأثير على المواقف الداخلية لاتجاه الرأى العام الإسرائيلى تكاد تكون معدومة فيما يتعلق بالقدس ، وهذا معناه أيضا أن المفاوضات المؤجلة حول القدس ستمثل أكثر مراحل المفاوضات تشددا وأن التنازلات الإسرائيلية التى يمكن أن تنجم عن هذه المفاوضات ستكون تنازلات متواضعة الأمر الذى يجعل استخدام مصطلح مفاوضات هنا استخداما فى غير مكانه ، فلن تكون هناك مفاوضات بل تطبيق

أمـر واقع وبخاصة بعد إكمال تهويد المدينة وهـي عملية فـي طريقها إلى الانتهاء . والخطير هنا أنه لن يتمكن المفاوض العربى الفلسطينى من الاعتماد على أيـة اختلافـات فـى الـرأى العـام الإسرائيلى ، فهناك شبه اتفاق على القدس بخلاف الأراضى المحتلة الأخرى التى اختلفت عليها اتجاهات الرأى فى إسرائيل ووصلت فـى بعض الحالات إلى وجود شرائح من الإسرائليين تقبـل الانسـحاب التام غير المشروط من الأراضى المحتلة ، وهذا الأمر ساعد علـى نجاح المفاوضات التى جرت حول شبه جزيرة سيناء والضفة وغزة حيث توفر الرأى العام المساعد على إتمام المفاوضـات بشـأنها . وهذا لايتوفر فى قضية القدس الأمر الذى سيجعل التفاوض حولـها مستحيلا ، وكل ماتقبله الأحزاب الإسرائيلية لايزيد عـن السـماح لأهل الأديان الأخرى بزيارة الأماكن المقدسـة الخاصـة بـها فـى القدس.

٢ - ازدياد نفوذاليمين الدينى المتطرف ليس فى مصلحة أية مفاوضـات بشأن القدس . فالأحزاب الدينية والرأى العام الدينى فـى إسـرائيل يعترض مبدئيا على مبدأ المفاوضات الخاصة بـالقدس ، ويعتـبر مستقبل المدينة منتهيا ، فهى مدينة يهودية خالصة وعاصمة أبديـة موحدة لإسرائيل . ويغالى اليمين الدينى المتطرف فى عدم اعترافـه بأية حقوق دينية للإسلام والمسيحية فى القدس ، ويسعى حثيثا إلى تهويد المعالم الإسلامية والمسيحية ومحو الملامح والسمات العربية للمدينة ، وصبغ المدينة بالطابع اليـهودى . وقـد اتخـذت مئـات الإجراءات لتحقيق هذا الهدف . وخطورة ازديـاد النفـوذ الدينـى

المتطرف تكمن فى أن الصراع حول القدس يتخذ شكلا دينيـا عنـد اليمين الدينى المتطرف . وهذا يعنى المزيد من التشدد والكثير مـن الضغط على الحكومة الإسرائيلية وهى حكومـة يمينيـة متشـددة ومتعاطفة بل ومتحالفة مع اليمين الدينى ، ولذلك فهى قابلة للضغـط وستتفاعل معه لصالح اليمين الدينى المتطرف.

٣ - وبالإضافة إلى اتفاق الأحزاب السياسية بالنسبة للقدس فإن الخـلاف عليها بين المتدينين والعلمانيين ضعيف ورغم شدة الصراع بينـهما على وجه العموم فإن هذا الصراع يضعف فى قضية القدس . فـالكل متفق حول المستقبل السياسى للقدس . وفى استطلاع للرأى العـام الإسرائيلى تم فى شهر يونيو ١٩٩٧م عارض ٨٠% مـن اليـهود فى إسرائيل إجراء مفاوضات حول القدس ويقبـل ٤٠ % سـيادة فلسطينية على المناطق العربية داخل القدس (٧٩).

٤ - يلاحظ أيضا أن قضية القدس تسير مستقلة عـن قضيـة السـلام والعملية السلمية ، ولاتتأثر بالأحداث الجارية . بل إن الملاحـظ أن السياسة الإسرائيلية الحالية تستغل قضيـة القـدس فـى توجيـه السياسة العامة وفى تعطيل العملية السلمية . فمن الملاحظ أن كـل الأحداث الأخيرة التى كانت السبب الحقيقى فى تعطيل المفاوضـات السلمية مرتبطة بالقدس . فقد أثـيرت أولاً مشـكلة البنـاء فـى مستوطنة "جبل أبو غنيم" ، وبعدها أثيرت نفس المشكلة فـى رأس العمود . وقد تعطلت المفاوضات السلمية مع الفلسطينيين لمدة سنة تقريبا بسبب الاستيطان فى القدس . ويجب أن نشير هنا أيضا إلـى

أن تفجيرات القدس فى المرة الأولى والثانية ، والتى حدثت بسبب العمليات الاستيطانية فى "جبل أبو غنيم" ورأس العمود ، تسببت هى الأخرى فى مزيد من التعطيل للمفاوضات حولها إلى نهاية العملية السلمية . وكل هذا كسب للوقت تحققه السياسة الإسرائيلية لتحقيق هدفين : الأول تعطيل العملية السلمية فى حد ذاتها . والثانى كسب مزيد من الوقت لإكمال تهويد القدس قبل الوصول إلى المرحلة النهائية فى المفاوضات وهى المرحلة الخاصة بالقدس . وهكذا تصبح القدس هى العامل الحاضر والغائب فى مسيرة العملية السلمية فهى المعطلة لها بحضورها فى قلب الأحداث من خلال عمليات الاستيطان ، وهى فى نفس الوقت غائبة عن المفاوضات بسبب تأجيلها.

٥ – يلاحظ أيضا أن قضية القدس لاتتأثر بنتائج المفاوضات الجارية ولاتتأثر بالضغوط السياسية . فالطرف القادر على ممارسة الضغط السياسى لايرغب فى ذلك لانحيازه إلى الإسرائيليين فضلا عن أسبابه الخاصة . والطرف العربى الإسلامى عاجز عن ممارسة أية ضغوط حقيقية ويأمل فى الضغط الأمريكى الذى لن يحدث فيما يختص بالقدس على وجه التحديد . وقد بادر الأمريكيون باتخاذ قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس رغم علمهم بأن هذا القرار له تأثيره الضار على المفاوضات الجارية وعلى العملية السلمية بكاملها . أما الرأى العام العالمى فليس له تأثير واضح على مجريات الأمور فى فلسطين ، وقرارات الأمم المتحدة بشأن القدس

ليست لها سوى قيمة معنوية بسبب عجز الأمم المتحدة عن تنفيـــذ قراراتها.

٦ - يلاحظ أن عملية تهويد القدس تتم فى شـكل مســتقل تمامــا عــن المفاوضات الجارية وعن عملية السلام وكأنها ليست بــذات صلــة بهذه الأمور . فالإسرائيليون نجحوا فى عزل القدس عن السياســـة الجارية ، وانفردوا بالمدينة فى غياب الرقابـــة الدوليـــة ، وعجــز الإدارة العربية ، وغياب المتابعة الإســـلامية والمســيحية . وبقــى الفلسطينيون وحدهم فى الميدان ، وحركتهم فى القدس تكاد تكـــون مشلولة بسبب السياسات القمعية الإسرائيلية فى المدينة التى انتهت إلى حصار شامل لأهل القدس يمنعهم من الحركة ويــــهدد بســحب الإقامة منهم فى حالة خروجهم من القدس حيث تمنـــع الإجــراءات الإسرائيلية الأخيرة عودة من يخرج من القدس إليها مرة أخرى.

وفى ظل هذا الحصار الشامل للمدينة وعزلها عن بقية الضفـــة وغزة ، وعن العالم العربى والإسلامى ، وعن العالم كليـــة تســير عمليات التهويد فى سرعة لامثيل لها . فالهدف إكمال التهويد قبــل الوصول إلى مرحلة التفاوض حول المدينة . ولقد حوصرت المدينـــة بالمستوطنات من كل الجهات ، وأقيمـــت آلاف الوحـــدات الســكنية لليهود ، وصودرت ٣٣% من مساحة القدس ، وتم تقييد النشـــاط التجارى والصناعى وشل مركز القدس العربية.

وقد تمكنت إسرائيل من خلق واقع سياسى وديموجرافى جديـد على حساب الجغرافية الفلسطينية وذلـك مـن خـلال مصـادرة الأراضى، وبناء المستعمرات وهدم البيوت العربية ، ورفض منـح تراخيص بناء جديدة . والهدف من هذا كله خلق واقع ديموجرافـى جديد يستخدم كوسيلة ضغط فى المفاوضات (٨٠).

٧ - تعتمد الحركة الاستيطانية فى القدس على السرية التامة فالسياسات الاستيطانية غير معلنة ، ويتم اتخاذ القرار بشأنها فى سرية كما أن هذه القرارات تنفذ فى سرية تامة . وآخر الممارسات السرية عملية الترحيل السرى للفلسطينيين المقيمين بـالقدس الشـرقية ، وهـى ممارسات تنطوى على الخداع السياسى الذى تستند إليه إسـرائيل فى تنفيذ استراتيجيها الخاصة بـالقدس . ومـن هـذه الأسـاليب المخادعة أن الفلسطينى المقيم فى القدس ولايستطيع البرهنة علـى أنه يسكن حاليا فيها يفقد حقه فى الإقامة بالمدينة التى ولد فيـها . ووفقا لهذا القانون لايستطيع العودة إلى القدس جميع الفلسـطينيين الذين عاشوا خارجها لفترة سواء داخل فلسطين أو خارجها ، بـل إن الذين يعيشون فى ضواحى القـدس عرضـة لفقـدان هويتـهم المقدسة . ويهدف هذا الترحيل السرى إلى خلق واقع ديموجرافـى جديد يؤدى إلى تهويد المدينة وفرض السيادة اليهوديـة الكاملـة عليها . وقد نشرت منظمة بتسليم (مركز المعلومـات الإسـرائيلى لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة) ومنظمـة هموكيـد (مركـز الدفاع عن حقوق الفرد) تقريرا عن التقرير السرى وإلغـاء إقامـة الفلسطينيين فى القدس الشرقية وطـالبت فـى نهايتـه الحكومـة

الإسرائيلية بمنح المقيمين الفلسطينيين بالقدس الشرقية وضعية ثابتة لايمكن إلغاؤها لضمان مستقبلهم ومستقبل عائلاتهم في القدس ، ولإعادة كل حقوق الفلسطينيين الذين ألغيت وضعيتهم(٨١).

ولعل الخديعة الكبرى التى نفذتها السياسة الأمريكية هى إقناع الأطراف العربية بتأجيل المفاوضات حول القدس إلى نهاية مسيرة المفاوضات على المسارات المختلفة . وقد قبل المفاوض العربى هذا التأجيل معتقدا أن إسرائيل ستقوم بتنفيذ كل التزاماتها فى المفاوضات ، وأن المفاوضات على المسارات المختلفة ستنتهى فى وقتها المحدد . ولكن الذى حدث أن الحكومة الإسرائيلية بزعامة الليكود ونيتانياهو رفضت الالتزام بالقرارات التى قبلتها حكومة العمل السابقة وعادت بالعملية السلمية إلى مرحلة ماقبل المفاوضات مطالبة بشروط جديدة للتفاوض من جديد على ماتم التفاوض عليه من قبل ، ووضعت العقبات التى دخلت بالعملية السلمية إلى طريق مسدود . وتوقفت بالفعل كل المفاوضات الأمر الذى انعكس على وضع القدس فأصبحت المفاوضات المؤجلة بشأنها ملغية فى الأمر الواقع ، ولايمكن التحدث الآن عن مرحلة مفاوضات تخص القدس بعد أن تعطلت المراحل السابقة عليها.

كانت هذه إحدى وسائل الخداع الكبرى ، فقد اطمأن الجميع إلى أن مفاوضات القدس قادمة لامحالة رغم خطورة تأجيلها ، والآن لاتبدو بارقة أمل فى أية مفاوضات بشأن القدس لامؤجلة

ولامعطلة ، وعمليات التهويد تسير على قدم وساق لتضع نهاية حتمية لأى حديث عن مفاوضات مستقبلية بشأن القدس العربية.

٨ - يلاحظ أيضا أن عملية تهويد القدس لاتعطى اعتبارا للحقوق الدينية للأديان الأخرى فى القدس ، والدليل على ذلك هدم المساجد والكنائس والاعتداء على المصلين ، وتعطيل الشعائر ، وترويع المصلين وتخويفهم ، ومنع الصلاة وإغلاق المساجد ، وتحقيق مشاركة اليهود فى المساجد الإسلامية مثل المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمى ، وتمكين اليهود من الدخول إليها ومنع المسلمين من ذلك . وهذا السلوك الإسرائيلى أصبح مظهرا طبيعيا من مظاهر التعامل الإسرائيلى مع الأماكن المقدسة للمسيحية والإسلام فى الوقت الذى يدعى فيه الإسرائيليون قيامهم بحماية الأماكن المقدسة وبخاصة عندما تؤول إليهم السيادة العامة على القدس . ولا يوجد شك فى إتجاه الرأى العام الإسرائيلى بخصوص المسجد الأقصى ، ويشير استطلاع للرأى (يونيو ١٩٩٧) إلى رفض ٨٠% من الإسرائيليين أية تسوية تتعلق بالمسجد الأقصى ، وذلك بسبب الاعتقاد السائد لدى الإسرائيليين بأنه يقوم على أنقاض الهيكل(٨٢).

٩ - لاتعطى السياسة الإسرائيلية اهتماما للحقائق التاريخية والأثرية بشأن القدس ، ولاتهتم أبدا بالقيم الدينية والأخلاقية المرتبطة بالمدينة ، ولاتكترث بالتراث الحضارى للمدينة . فالتهويد هو عملية تدمير شاملة للمكان والزمان فى القدس . كما أن المشاعر الدينية للمسلمين والمسيحيين لاتهم صانع السياسة التهويدية

ومنفذها فى القدس ، إن طمس المعالم والآثار الدينيــة المســيحية والإسلامية ضرورة غير أخلاقية لتهويد المدينة ، والتهويد لايتم فى ظل حضور مسيحى وإسلامى قوى فى القدس.

١٠ - يلاحظ أن جميع الحكومات الإسرائيلية السابقة واللاحقـــة تتجنــب الدخول فى أية مفاوضات ينتج عنها تعهدات أو التزامــــات بشـــأن القدس . فالمسألة متروكة فى النهاية للأمر الواقع الذى ســـيفرض نفسه على أية مفاوضات مستقبلية فى ظل عدم وجـــود التزامـــات سابقة.

نتائـــــج :

يمكن تلخيص أهم نتائج هذه الدراسة فى التالى:

١ - أن قضية القدس تمثل فى الوقت الحالى المحور الرئيسى للصــــراع فى الشرق الأوسط ، وهـــى المحـــرك الأساســـى لكـــل السياســـات الإسرائيلية الحالية والمستقبلية ، وهى أهم فى السياسة الإسرائيلية من كل مسارات العملية السلمية ولها تأثيرها القوى والمباشر علــى هذه المسارات جميعها . ويمكن القـــول بكـــل تـــأكيد أن التعطيـــل الإسرائيلى لمسارات التفاوض المختلفة هدفه كسب الوقت لإنــــهاء قضية القدس قبل الدخول فى المفاوضات الخاصة بها والمؤجلة إلى نهاية العملية السلمية . وسبيل الإنهاء هو وضع اليد الاســـرائيلية على القدس العربية وإعلان القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل وهــى عملية من المتوقع أن تتم مع عام ٢٠٠٠م.

٢ - أن قضية القدس وداخل إطار الاستراتيجية الإسرائيلية ومن خلال سياسة التهويد ستؤدى حتما الى انهيار العملية السلمية قبل اكتمالها.

٣ - فى حالة انهيار العملية السلمية بسبب قضية القدس فهناك عدة احتمالات مستقبلية من أهمها:

أ - اندلاع الانتفاضة من أجل القدس وبنفس قوة الانتفاضة الأولى كوسيلة لمقاومة السياسة الإسرائيلية الخاصة بالقدس.

ب - اندلاع حرب القدس وهى حرب كبرى بين العرب وإسرائيل من أجل إنقاذ القدس من الضياع ولايمكن التكهن بنتيجة هذه الحرب فى حالة وقوعها.

ولكن بالتأكيد سيكون لهذه الحرب بعد دينى لم يظهر فى الحروب السابقة مع إسرائيل فاليمين اليهودى المتطرف سيقف بكل قوته فى هذه الحرب ، كما أنه من المتوقع أن يكون لدول العالم الإسلامى موقف حاسم ، بالإضافة إلى الموقف العربى العام والموحد فى أى حرب مستقبلية من أجل القدس العربية وبسبب مكانتها الدينية.

التوصيات:

توصى هذه الدراسة عن مستقبل القدس فى التسوية السلمية حتى عام ٢٠٠٠م بما يلى:

١ - إن السنوات الباقية حتى عام ٢٠٠٠م تمثل آخر فرصة عربية وإسلامية لإنقاذ القدس من الضياع . ولذلك لابد للحكومات العربية والإسلامية أن توظف كل جهودها السياسية والدبلوماسية لإنقاذ القدس حتى لاتكون مسئولة عن ضياعها . وهى مسئولية دينية وتاريخية لابد من تحملها لأن ضياع القدس سيكون حدثا دينيا وتاريخيا رهيبا ، ويمثل عبئا ثقيلا على الحكومات العربية والإسلامية مع بداية القرن الحادى والعشرين

٢ - ضرورة تشكيل موقف عربى وإسلامى حاسم وشجاع وقوى فى مواجهة الاستراتيجية الإسرائيلية بشأن القدس حتى عام ٢٠٠٠.

٣ - ضرورة إحياء الوعى العربى والإسلامى بالقدس فى السنوات القادمة ، وجعل المدينة فى بؤرة الشعور العربى ومحورا للتفكير السياسى العربى على المستويات الحكومية والشعبية وضرورة شحذ كل الطاقات الممكنة لإنقاذ المدينة

٤ - السماح بزيارة بيت المقدس ، وتشجيع العرب والمسلمين على القيام بالسياحة الدينية فى المدينة ، ودعم عملية خلق حضور عربى إسلامى ومسيحى فى مواجهة السيطرة اليهودية عليها ، والحد من احتكار اليهود للمدينة وتعاظم الوجود اليهودى بها بسبب غياب الوجود الإسلامى والمسيحى ، وعدم اعطاء الفرصة لإكمال تهويد آثار المدينة ومعالمها الإسلامية والمسيحية

٥ - تقديم العون المادى والمعنوى لأهل القدس العرب ومساعدتهم في مقاومة الحصار الإسرائيلى للمدينة ومقاومة كل أشكال الممارسات اليهودية القمعية وبخاصة عمليات الترحيل لأهل القدس إلى خارجها، وعمليات بيع الأراضى للإسرائيليين ، ودعم حركة التعمير والبناء الفلسطينى بالمدينة ، وتوجيه جزء من الاستثمار العربي إليها ، وحل المشاكل الاقتصادية للفلسطينيين بالقدس ، ودعم الوجود الفلسطينى فيها بكل الوسائل الممكنة.

الحواشى والمراجع:

١ - محمد خليفه حسن . تاريخ الديانة اليهودية . دار قباء . ١٩٩٨.

٢ - أنظر مثلا : Abraham Katsch, Judaism in Islam.

٣ - محمد محمد أبوشهبة . الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . مجمع البحوث الإسلامية . القاهرة . ١٩٨٤.
وأنظر أيضا : د.محمد حسين الذهبى . التفسير والمفسرون . مكتبة وهبة . القاهرة ط٣ . ١٩٨٥.

٤ - محمد خليفه حسن . تاريخ الأديان : دراسة وصفية مقارنة . القاهرة . ١٩٩٨ ص ١٩٨-١٩٩

الفصل السادس

التفكير الألفى وأثره فى العملية السلمية

تمثل الألفية الثالثة مصدراً للخطر أو لمجموعة أخطار سيكون لها تأثيرها على العلاقات المسيحية اليهودية من ناحية وعلى العلاقات اليهودية الإسلامية من ناحية أخرى بل وسيكون لها دور فى توجيه العلاقات المسيحية الإسلامية خلال السنوات القادمة والخطورة التى تمثلها الألفية الثالثة خلال السنوات السابقة على الألفية واللاحقة بها هى أن المشاعر الدينية التى سترتبط بقدوم الألفية لايمكن التحكم فيها سواء من الجانب المسيحى أو الجانب اليهودى ويجب أن نشير هنا إلى أن الألفية ليست لها أهمية تذكر عند المسلمين وإنما هى مناسبة يهودية مسيحية مشتركة مع الاختلاف فى المفهوم والأهداف والتوقعات ولكن ستكون لها تأثيرات سلبية فيما يتعلق بالمسلمين

أما فيما يتعلق بالعلاقات اليهودية المسيحية سيؤدى التفكير الألفى فى المسيحية إلى زيادة النشاط التبشيرى المسيحى بين اليهود فى إسرائيل وربما خارج إسرائيل كذلك وسيسبب هذا النشاط التبشيرى المسيحى إزعاجاً كبيراً لليهود والإسرائيليين الذين يريدون الاستفادة اقتصادياً من الاحتفالات الخاصة بالألفية حيث يتوقع الإسرائيليون أن يقوم عدد ضخم من المسيحيين فى العالم بزيارة إسرائيل خلال بداية الألفية الثالثة ويقدر الإسرائيليون عدد المسيحيين الذين سيزورون

إسرائيل بأنه يتراوح بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليونًا(٨٣) ومن بين هذا العدد الضخم ستتجه إلى إسرائيل جماعات مسيحية تبشيرية تراودها الأحلام المسيحانية بقدوم المسيح أولاً وبهداية اليهود وتحويلهم إلى المسيحية ثانيًا . وهم ذاهبون إلى إسرائيل لكى يقوموا بهذا العمل التبشيرى بين اليهود والذى يمثل الهدف الأساسى من القدوم الثانى للمسيح عليه السلام .

وعلى الرغم من المكاسب الاقتصادية التى ستحققها إسرائيل من خلال السياحة المسيحية خلال هذه المناسبة المهمة للعالم المسيحى فإن النشاط المسيحى التبشيرى سيسبب مضايقات كثيرة ، وسيكون مصدر إزعاج مستمر للإسرائيليين . وتأمل الجهات والمؤسسات السياحية استيعاب هذه الملايين الضخمة من السياح وأن تعود إسرائيل لتصبح مركز جذب مرة أخرى للسياحة

ولاشك أنه سيأتى على قمة هذا النشاط التبشيرى المسيحى الزيارة التى سيقوم بها البابا للأماكن المقدسة المسيحية فى إسرائيل وزيارة البابا تثير فى الأوقات العادية المشاعر الدينية المسيحية ونتوقع أن تمثل هذه الزيارة فى هذه المناسبة الألفية قمة العمل التبشيرى المسيحى وستثير فى المسيحيين ذروة المشاعر الدينية وقمة الآمال المسيحية فى هداية اليهود . ولأنها مشاعر دينية قوية فى مناسبة لاتحدث إلا كل ألف عام فلا أحد يستطيع أن يتكهن بما يمكن أن يحدث

وقد عبرت بعض الجماعات الإسرائيلية عن مخاوفها من النشاط التبشيرى الذى ستقوم به الجماعات المسيحية . ومن بين هذه الجماعات

رابطة يد أحيم التى يرأسها الحاخام شالوم ليفشيتس والذى عبّر عن هذه المخاوف بقوله : هناك فرق بين المسيحيين الذين يحتفظون بإيمانهم لأنفسهم وبين المبشرين الذين يريدون أن يتخلى كل يهودى عن دينه . إن للمبشرين لهم هدف واضح محدد وهو القضاء على الشعب اليهودى وتدميره ليس بشكل مادى ولكن عن طريق تبديل ديانة اليهود بحيث لا يبقى منهم أحد على دينه (٨٤).

ويَتّبع المبشرون المسيحيون نفس الأساليب التبشيرية أو التنصيرية مع الإسرائيليين فهم يستغلون بعض الأسر الفقيرة والمنهارة ، ويستغلون أيضًا الشيوخ والنساء والمرضى، وهم يدخلون البيوت بشكل يبدو وكأنه عفوى غير مقصود حيث يبيعون نسخًا من التوراة وخلال الزيارة يقومون بنشر أفكارهم والترويج لها . ويصفهم الحاخام ليفشيتس بأنهم صيادون مهرة للأنفس(٨٥) . وقد تم تصوير فيلم فيديو لمراسم تعميد يقوم بإجرائها بعض المنصرين لأشخاص يهود بالغين على شواطئ تل أبيب. وهناك مبشرون ينتقلون من بيت إلى بيت . وقد وُضعت لهم صور فى إعلانات تذكر أسماءهم ، وبعضها يحذر منهم ويطلب عدم السماح بدخولهم المنازل، وتُوزع هذه الإعلانات فى أماكن تجمع المهاجرين الجدد إلى إسرائيل ، وفى الأحياء السكنية فى المدن الإسرائيلية . كما أن آلاف الرسائل البريدية يقوم بإرسالها المبشرون إلى عامة الإسرائيليين وهناك رسائل تبشيرية ترسل إلى منازل الحاخامات(٨٦) . مثل هذا النشاط سيزداد مع الدخول إلى الألفية الجديدة ومع الحماس المسيحانى المسيحى الذى يتوقع القدوم الثانى للمسيح

خلال السنوات القادمة . لهذا نتوقع أن تزداد الحساسيات الدينية إلى حد المواجهة بين الإسرائيليين وهؤلاء المبشرين ، وربما يكون هذا أول تصادم حقيقى بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية .

الاختلاف بين اليهود والمسيحيين فى فهم الألفية :

يختلف الفهم اليهودى لحلول الألفية الثالثة عن الفهم المسيحى للألفية وربما سيكون هذا الاختلاف سببا فى نشوب صراعات يهودية مسيحية خلال العقد القادم الذى سيشهد الدخول فى الألف الثالث بعد الميلاد .

والشكل المهم لهذا الاختلاف هو أن هذه المناسبة وهى الألفية هى مناسبة مسيحانية يهودية كما أنها فى نفس الوقت مناسبة مسيحانية مسيحية . فالديانتان اليهودية والمسيحية تشتركان فى الاحتفال بالمناسبة ولكن لكل ديانة فهمها واعتقادها المتعارض مع فهم واعتقاد الديانة الأخرى . والاختلاف هنا مرتبط بالعقيدة ، ولايمكن تخمين آثار هذا الاختلاف أو تحديد مداه وآثاره وعلينا الانتظار لنرى مايحدث خلال العشر سنوات القادمة .

وبداية نقول إن الآمال المسيحانية لليهود تختلف عن الآمال المسيحانية المسيحية . فاليهود يعتقدون أن المسيح المخلص لم يأت بعد ، ومع كل ألفية جديدة تتجدد الآمال اليهودية فى قدوم المسيح . وقد ظهر مع كل ألفية جديدة من ادّعى أنه المسيح المخلص المنتظر وقد أطلق على

هؤلاء لقب المسيح الكاذب أو المسحاء الكذبة أو مُدّعى المسيحانية . ومن المعروف تقليدياً أن المسيح المخلص سيظهر فى مستقبل الأيام ليحقق الخلاص لليهود من أعدائهم ويقيم لهم المملكة ويأتى بالسلام . ونعتقد أن ظهور الصهيونية ونجاحها فى إنشاء إسرائيل أدى إلى تحجيم وظيفة المسيح المخلص خاصة مع ادّعاء الصهيونية بأنها قامت بدور المسيح المخلص وحققت الخلاص لليهود ، وأنشأت لهم الدولة (المملكة حسب الفهم المسيحانى)(٨٧) . ولكن لاننسى أن هناك جماعات دينية يهودية رفضت أن تلعب الصهيونية دور المسيح المخلص كما أنها رفضت مفهوم الدولة رغم أنها تعيش داخلها ، ولكنها لاتعترف بها ، وتتمسك هذه الجماعات بالاعتقاد التقليدى فى المسيح المخلص البطل ذى المواصفات البطولية الخارقة، وترفض أن تستبدل هذا المفهوم الشخصى للمسيح بمفهوم جماعى يتمثل فى حركة خلاص مثل الصهيونية حسب فهم زعمائها(٨٨) . وترفض هذه الجماعات الدينية أيضاً ادعاء الصهيونية أنها ستأتى بالسلام بعد أن تحقق هدف إهلاك أعداء إسرائيل وإقامة الدولة . ولذلك لايزال هؤلاء فى انتظار قدوم المسيح المخلص الشخصى وتحقيقه لخلاص اليهود وإقامته للمملكة وانتصاره وتحقيقه للسلام . ويمكن أن نقول أن الفارق بين الاثنين يتضح فى أن الصهيونية المعاصرة فهمت موضوع الخلاص اليهودى فهماً علمانياً لادينياً وحاولت تحقيق الخلاص بالوسائل السياسية والعسكرية وكما يتهمها المتدينون فالصهيونية استعجلت الخلاص . أما الخلاص عند الفرق الدينية فهو خلاص دينى وليس علمانياً ، وهو أمر لايتحقق بالجهود البشرية إنما هو أمر غيبى

حشرى مرتبط بظهور المسيح الشخصى فى مستقبل الأيام أو فى نهاية الأيام .

أما الفهم المسيحى بقدوم الألفية الثالثة وللآمال المسيحانية فيها فيدور حول الاعتقاد فيما يسمى بالقدوم الثانى للمسيح عليه السلام وهذا القدوم الثانى لإقامة المملكة (مملكة الله على الأرض) ونشر السلام بين الشعوب والأهم من هذا وذاك قيام المسيح بهداية هذه الشعوب والجماعة الأولى المستهدفة للهداية هى الجماعة اليهودية التى يجب جمعها من الشتات حتى يظهر المسيح ويقوم بهدايتهم وتحويلهم والسبب الأول فى هداية اليهود أنهم كانوا أول من رفض دعوة عيسى عليه السلام ، وهدايتهم أصبحت فريضة دينية وجزءاً من عقيدة بل وشرطاً أساسياً من شروط القدوم الثانى للمسيح عليه السلام فبدون جمع الشتات اليهودى لن يتحقق هذا القدوم الثانى .

إذن نحن هنا أمام فهمين مختلفين ومتعارضين لأحداث الألفية الثالثة رغم الالتقاء حول هدف جمع الشتات اليهودى فى فلسطين .

لذلك لا عجب إذا مابدأت بعض الجماعات اليهودية فى إسرائيل وخارجها تحذر من النشاط التبشيرى الذى ستقوم به الجماعات المسيحية الوافدة على إسرائيل خلال سنوات حلول الألفية من الآن وحتى عام ٢٠٠٠م والفترة التالية مباشرة ولقد أطلق بعض المحذرين من هذه الظاهرة اسم « صائدو النفوس » على النشاط التبشيرى بين اليهود والذى سيبدأ منذ الآن ، ويضربون المثال على ذلك ببداية عمليات

التبشير بالفعل فإن إحدى مدن لتفيا وهى مدينة ريجا تواجه أعنف غارة تبشيرية موجهة ضد عشرين ألف يهودى . وتطالب بعض الدوائر الدينية الإسرائيلية بضرورة الاستعداد لمواجهة هذا النشاط التنصيرى الذى يعتبرونه مدمراً للدولة ويمثل أكبر خطر موجه ضدها فى السنوات القادمة .

تأثير بداية الألفية الثالثة على العلاقات اليهودية المسيحية :

من وجهة النظر المسيحية التى عبر عنها بابا الفاتيكان فى نهاية عام ١٩٩٧م أن الألفية الثالثة للميلاد تمثل فرصة جيدة لمراجعة الضمير حول أحداث الماضى والمقصود بالضمير هنا الضمير المسيحى والمقصود بأحداث الماضى أحداث النازى والسكوت أو الصمت المسيحي تجاه هذه الأحداث زمن وقوعها ، وقد ردّد البابا فى عدة مناسبات خلال الشهور الماضية أن على الكنيسة الكاثوليكية أن تنتهز حلول الألف الثالث الميلادى لكى تطلب الصفح عن أخطائها التى ارتكبتها فى الماضى وعن آثامها خلال تاريخها(٨٩) .

ولاشك فى أن البابا الحالى يعد من أنشط باباوات الفاتيكان فى مجال تحسين العلاقات المسيحية مع اليهود فقد أعطى لهذا الموضوع أولوية ضمن مهام منصبه ، وكان أول رئيس أو بابا للكنيسة الكاثوليكية يزور معسكرات الاعتقال ، ويدخل معبداً يهودياً ويلقى فيه خطاباً. كما انه اهتم اهتماماً كبيراً بإقامة علاقات دبلوماسية للفاتيكان مع إسرائيل وقد شجب البابا بشدة ظاهرة المعاداة لليهود والمسماة خطأ بالمعاداة للسامية

واعترف بأن الكثيرين من المسيحيين لم يلتزموا بمبادىء عقيدتهم وإيمانهم أثناء أحداث النازى . وقد أعلن فى خطاب أمام علماء اللاهوت المسيحيين فى ندوة نظمها الفاتيكان لمناقشة جذور المعاداة للسامية فى الديانة المسيحية ... أعلن أن معاداة السامية ليس لها أى مبرر وأنها تستحق الإنكار التام . كما قال أيضًا بأنه قد انتشرت فى العالم المسيحى ولمدة طويلة تفسيرات خاطئة وغير صادقة للعهد الجديد ، وترتبط هذه التفسيرات بالشعب اليهودى والجريمة التى يبدو أنهم ارتكبوها . وقد ولّدت هذه التفسيرات الخاطئة العداء لليهود . كما أنها أدت إلى تبلّد الضمير المسيحى وعدم بذل المجهود المسيحى لمساعدة اليهود فى محنتهم أيام النازى (٩٠).

وعلى الرغم من هذه الشجاعة البابوية فى الاعتراف بالخطأ فإن المسألة أعقد من ذلك بكثير لأن الاعتراف بوجود تفسيرات خاطئة فى العهد الجديد (الكتاب المسيحى المقدس) حول العلاقة باليهود يستلزم بالضرورة – كما نادت بعض الأصوات اليهودية – أن يتم رفض هذه الأجزاء الواردة فى العهد الجديد بل وهناك من يطالب بحذفها من العهد الجديد.

وعلى الرغم من أن الألفية الثالثة أتت بهذا الاعتراف البابوى بالخطأ وإعلان الرغبة فى فتح صفحة جديدة فى العلاقات المسيحية اليهودية فإن الألفية الثالثة يعتبرها بعض اليهود مهددة لليهود وبخاصة فى إسرائيل وربما خارج إسرائيل أيضًا . فمع حلول الألفية الثالثة ستدخل

الكنيسة المسيحية فى أضخم عملية تنصير (تبشير) فى تاريخ المسيحية ، وسيصبح اليهود أولاً موضوعاً للتبشير المسيحى حيث سيصل إلى إسرائيل ملايين من المسيحيين للاحتفال بالألفية الثالثة فى الأماكن المقدسة المسيحية ، وتخشى بعض الدوائر اليهودية من أن يدخل مع هذه الأعداد المسيحية الضخمة جماعات مسيحية تبشيرية هدفها القيام بأعمال التبشير بين اليهود فى إسرائيل . ويقدر عدد الزائرين لإسرائيل مع حلول عام ٢٠٠٠ حوالى مابين عشرة إلى خمسة عشر مليون مسيحى سيكون من بينهم آلاف المبشرين الذين ستكون مهمتهم الأساسية تنصير اليهود .

ويرتبط هذا النشاط المسيحى التبشيرى باعتقاد مسيحى فى القدوم الثانى للمسيح عليه السلام ومع كل ألفية جديدة تزدهر الآمال المسيحية المسيحية فى هذا القدوم . ولاشك فى أن أحد شروط القدوم الثانى للمسيح هو جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . والهدف من جمع هذا الشتات هو قيام المسيح بهدايتهم وإدخالهم فى المسيحية . وقد عُرف هذا المفهوم الدينى باسم الصهيونية المسيحية للتفريق بينها وبين الصهيونية اليهودية . فكلاهما يلتقى عند نقطة جمع الشتات اليهودى فى فلسطين ولكنهما يختلفان فى الهدف من عملية الجمع . فالصهيونية اليهودية تجمع لكى تقيم الدولة وتحل المشكلة اليهودية فى العالم ، بينما الصهيونية المسيحية تعمل على جمع الشتات اليهودى لأمر متصل بالعقيدة وهو تحقيق القدوم الثانى للمسيح وهداية اليهود بتحويلهم إلى المسيحية . ومما لاشك فيه أن الصهيونية اليهودية

استفادت ولاتزال تستفيد من هذه الصهيونية المسيحية المؤثرة فى السياسة الأمريكية كما كانت مؤثرة من قبل فى السياسة البريطانية المسئولة عن قيام الكيان الصهيونى فى فلسطين .

ولكن هل ستستمر هذه الاستفادة بدون خطر أم أن الألفية الثالثة ستأتى بمشاكل وصراعات بين اليهود والمسيحيين بسبب الاختلاف حول فهم فكرة الألفية فى حد ذاتها . هذا ماسنراه خلال الأعوام القليلة القادمة .

حتى الآن يمكن القول بأن الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية تعيشان فى فترة وئام واتفاق وربما انسجام . فرغم اختلاف الأهداف والتوجهات الدينية للصهيونيتين فإن هناك اتفاقًا على عملية جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . الصهيونية اليهودية تجمع الشتات لإنشاء الدولة ودعمها بالهجرة بعد أن تم إنشاؤها . والصهيونية المسيحية تجمع الشتات اليهودى فى فلسطين من أجل تحقيق القدوم الثانى للمسيح (عليه السلام) حسب اعتقاد المسيحيين الإنجيليين .

ومع الدخول فى الألفية الثالثة يبدو أن هذا الاتفاق فى طريقه إلى الزوال . فقد تم جمع الشتات أو معظمه فى فلسطين ، والآن تظهر كل صهيونية على حقيقتها ، وتكشر عن أنيابها ضد الأخرى . ففترة الصراع بين الصهيونيتين على وشك الابتداء . والسبب فى الصراع لاشك قائم بشكل نظرى منذ ظهور الصهيونية المسيحية الإنجيلية واليهود يعلمون ذلك ولكن شاءت الصهيونية اليهودية أن تتجاهل هذه الصهيونية المسيحية طالما أنها متفقة معها فى عملية جمع الشتات

اليهودى فى فلسطين . وقد اعتمدت الصهيونية اليهودية كثيراً على الدعم الصهيونى الإنجيلى وبخاصة لأن الصهاينة الإنجيليين يتمتعون بنفوذ كبير على الساحة الأمريكية وكانوا من قبل يتمتعون بالسيادة فى بريطانيا ، ويجب أن نشير إلى أن وعد بلفور الذى منح اليهود حق إقامة وطن فى فلسطين إنما هو وعد صهيونى مسيحى إنجيلى تكفل به الصهاينة المسيحيون فى إنجلترا . والآن يكمل الصهاينة المسيحيون فى أمريكا الوعد من خلال دعمهم المتميز والمتعصب دينياً .

ويجب أن يعرف الإسرائيليون واليهود عموماً أن الإنجيليين فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لايعملون إلا لمصلحة إنجيلية ، بل يجب أن نقول أنهم لايعملون إلا استناداً إلى عقيدة دينية ولتحقيق أهداف دينية خالصة بهم . وأن دعمهم الحالى للإسرائيليين واليهود ليس حبًا فى اليهود والإسرا ئيليين ولكنه وسيلة لتنفيذ الشرط الأساسى لقدوم المسيح وهو شرط جمع الشتات اليهودى فى فلسطين حتى تتم هدايتهم على يد المسيح القادم .

وسوف تفشل كل الجهود الإسرائيلية واليهودية فى منع الزحف الإنجيلى إلى إسرائيل خلال الأعوام القادمة السابقة على بداية الألفية الثالثة والتالية لها مباشرة . ولن يتمكن الإسرائيليون بكل قوتهم المخابراتية من عزل الإنجيلى المبشر من الإنجيليين عن غير المبشر . بل يجب أن نؤكد أن الإنجيلى مبشر دائمًا وأبداً ولن يتخلى عن هدفه التبشيرى مهما كانت نوعية التهديد اليهودى له ، إذ لابد من ملاحظة أن

الإنجيلى لا يبشر بالمسيحية من أجل إدخال الناس فيها بصرف النظر عن ديانتهم السابقة إنما هو يخص اليهودى بالتبشير . فاليهودى هو المستهدف إنجيليًا لأن قدوم المسيح للمرة الثانية سيكون فى فلسطين حسب الاعتقاد الإنجيلى وقدومه لن يتم إلا بجمع اليهود فى فلسطين . ولذلك لايركز الإنجيليون فى الفترة الحالية إلا على التبشير بين اليهود ، وهذا هو مكمن الخطورة على الإسرائيليين واليهود عمومًا . ولانريد أن نقول أن الإنجيليين ليست لديهم أنشطة تبشيرية عامة بل ما نقوله هو أنه فى الفترة الحالية وخلال العشر سنوات القادمة سيركز الإنجيليون تركيزًا شديدًا على اليهود . ويمكن أن ندّعى أن غير اليهود فى فلسطين مثل المسلمين والمسيحيين الشرقيين لن يكونوا هدفًا للتبشير الإنجيلى بنفس القوة وبنفس الحماس الدينى الذى سيظهره الإنجيليون تجاه هداية اليهود .

والآن نقول ونتساءل هل الاستغلال الصهيونى اليهودى للصهيونية الإنجيلية والذى استمر لأكثر من قرن حتى الآن ... هل هذا الاستغلال سيأتى إلى نهاية مع صحوة يهودية ضد الإنجيليين . وهل يمكن لهذه الصحوة اليهودية المضادة أن تقاوم هذا المد التبشيرى الإنجيلى . لقد ترك اليهود الإسرائيليون الإنجيليين يتحركون فى حرية داخل إسرائيل وهم يزاولون نشاطهم التبشيرى بمعرفة الحكومة الإسرائيلية التى لاتريد أن تغضب الإنجيليين فتفقد دعمهم السياسى والعسكرى في الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن الصراع الذى سيحدث بين المبشرين الإنجيليين واليهود داخل المجتمع الإسرائيلى قد يكون من الخطورة بحيث يأخذ

المجتمع الإسرائيلى رد فعل يخالف المشاعر المسيحية الإنجيلية . والمسألة فى منتهى الحساسية لأنها تتناول العقيدة الإنجيلية من ناحية وحرص اليهود على يهوديتهم من ناحية أخرى .

إن المد التبشيرى الإنجيلى لن تقف أمامه كل وسائل المقاومة التى سيلجأ إليها الإسرائيليون خلال الأعوام القادمة مع الدخول فى الألفية الجديدة ومع ازدياد الحماس الدينى الإنجيلى خلال السنوات الحالية المؤدية إلى الألفية والسنوات الأولى من بداية الألفية ، فالمناسبة ليست تقليدية ولاتحدث إلا كل ألف عام ، ولذلك ستكون التوقعات المسيحانية فيها مرتفعة ، كما ستكون المشاعر الدينية متدفقة وبلا حدود بل وبلا ضوابط ، فالمسألة مرتبطة عند الإنجيليين بالعقيدة . والإسرائيليون من جانبهم يعتقدون فى ضرورة استمرار الاستفادة من الإنجيليين واستغلال عقيدتهم من أجل تحقيق أهداف إسرائيل القومية وأهم هذه الأهداف جمع كل اليهود فى فلسطين ، وهو كما ذكرنا من قبل هدف مشترك بين الإنجيليين والإسرائيليين . والذى لايدركه الإسرائيليون فى غمرة انشغالهم باستغلال الإنجيليين أن التحكم فى المشاعر الدينية للإنجيليين سيكون أمراً فى غاية الصعوبة ، وربما سيؤدى فى السنوات القادمة إلى صراع إنجيلى إسرائيلى بعد أن يكتمل الزحف الإنجيلى على إسرائيل وتبدأ المشاكل الحقيقية فى الظهور ويكشف الإنجيليون عن أهدافهم الدينية الحقيقية ويصبح الإسرائيليون ككل موضوعاً للتبشير الإنجيلى . فالهدف الحقيقى من جمع الشتات اليهودى فى فلسطين هو تحويل اليهود إلى المسيحية على يد المسيح بعد قدومه الثانى .

واعتقد أن الإسرائيليين يتعاملون مع المسألة فى الوقت الحالى على أنها أسطورة أو خرافة إنجيلية فى نهاية الأمر ، وأن المسيح لن يأت مرة ثانية حسب الاعتقاد الإنجيلى ، وأنه حتى لو أتى فستكون المقاومة اليهودية للتبشير مقاومة عنيفة ، على كل حال الإسرائيليون فى غمرة انشغالهم باستغلال العقيدة الإنجيلية سيصبحون على حقيقة واضحة وهى كثافة النشاط التبشيرى بينهم بهدف تحويل المجتمع الإسرائيلى اليهودى بكامله إلى المسيحية . والحكومة الإسرائيلية تتعامل حتى الآن مع المسألة على أنها مسألة سياحة واقتصاد ، وأن ملايين الإنجيليين القادمين إلى إسرائيل خلال السنوات العشر القادمة سيصرفون ملايين بل ربما مليارات الدولارات فى إسرائيل ، وأن السياحة الإسرائيلية ستعود من جديد قوية عظيمة كمصدر للدخل بعد أن تعرضت خلال السنوات الماضية لضربة قاصمة بسبب التفجيرات التى وقعت فى القدس على وجه التحديد ، وبسبب عدم الأمان الذى أصبح سمة المجتمع الإسرائيلى، وبسبب تدهور العملية السلمية على يد بنيامين نيتانياهو . وبدأت الشركات السياحية الإسرائيلية واليهودية تحسب مكاسبها ، وتشارك الدولة فى اعتقادها فى أن أمام إسرائيل سنوات سياحة قادمة لا مثيل لها فى تاريخ البشرية .

وهناك مظاهر لتسامح الحكومة الإسرائيلية تجاه النشاط التبشيرى للإنجيليين رغم التعصب الشديد للإسرائيليين ومقاومتهم لكل أنواع التدخل فى سياساتهم . ومن أهم هذه المظاهر ترك جمعيات التبشير الإنجيلية تمارس نشاطها داخل إسرائيل وبين اليهود بدون عقبات ، فهم

ينظمون الاجتماعات ، ويقومون بالدعاية اللازمة لنشاطهم ، ويزورون منازل الإسرائيليين . وقد بلغت بهم الجرأة إلى تقديم شكاوى ضد رابطة يد أحيم التى تقاوم جهودهم التبشيرية وتسبب لهم المضايقات . بل لقد تجرأ الإنجيليون واقتربوا بنشاطهم التبشيرى من مواقع معسكرات الجيش الإسرائيلى ، وبدأوا فى زيارة المدارس الإسرائيلية . وبالإضافة إلى تساهل الحكومة الإسرائيلية يجد هؤلاء المبشرون ترحيباً بعملهم لدى شريحة لابأس بها من الشباب الإسرائيلى الذى ترك اليهودية وانفتح على تيارات فكرية ودينية غير يهودية مثل هؤلاء الذين مالوا إلى تيارات هندية تقوم على أساس من التأمل المؤدى إلى حالة من الاسترخاء الذهنى كوسيلة من وسائل العلاج النفسى لحالات القلق والتوتر ، ولاتوجد خطورة حقيقية من مثل هذه الميول ، فالطرق الهندية مثل اليوجا وغيرها لاتقدم بديلاً عن اليهودية ، إنما هى أشبه بالرياضات الصالحة للجميع وبخاصة بعد تفريغها من المضامين الدينية الهندية . أما العمل التبشيرى الإنجيلى بين الشباب الإسرائيلى فهدفه المباشر تحويل هذا الشباب إلى المسيحية وهو أمر خطير لا تحس به الحكومة الإسرائيلية التى تنظر إلى الألفية على أنها مناسبة سياحية ضخمة لاتحدث إلا كل ألف عام ومن أجلها تغض الحكومة الطرف عن النشاط المسيحى الإنجيلى معتقدة ربما فى عدم أهميته أو عدم خطورته.

ردود فعل إسرائيلية :

لاشك فى أن رابطة يد أحيم تعد من أهم الجهات الإسرائيلية المهتمة اهتماماً شديداً بمقاومة المد التبشيرى الإنجيلى الصهيونى ، وربما كانت

هذه الرابطة هى الجهة الإسرائيلية الوحيدة حتى الآن التى أدركت خطورة النشاط التبشيرى للإنجيليين بين اليهود سواء فى إسرائيل أو خارجها . وقد وضعت الرابطة خطة للمواجهة تتكون من المراحل التالية:

للرحلة الأولى : هى مرحلة التوجيه والإرشاد الداخلى أى داخل إسرائيل . والمرحلة الثانية هى مرحلة التوجيه والإرشاد الخارجى . وهناك مرحلة تجنيد المتطوعين الذين سيقومون بنشاط تبشيرى مضاد، والمرحلة الرابعة تعتمد على النشاط البرلمانى الذى تسعى رابطة يد أحيم إلى تفعيله للحصول على موافقة الكنيست على قانون يمنع الأعمال والأنشطة التبشيرية .

ومن الواضح أن رابطة يد أحيم لديها خطة منظمة تنظيماً جيداً لمنع النشاط التبشيرى المسيحى الإنجيلى فى الداخل والخارج ، أى بين يهود إسرائيل ويهود العالم . وذلك من أجل وقف الغزو التبشيرى الإنجيلى لإسرائيل والذى يتصاعد مع الدخول فى الألفية الثالثة حيث يصبح اليهود عموماً موضوعاً وهدفاً تبشيرياً صريحاً تحقيقاً لهدف تحقيق القدوم الثانى للمسيح وفقاً للاعتقاد المسيحى الإنجيلى .

ولعل أخطر وأهم خطوات رابطة يد أحيم لمواجهة التبشير المسيحى هى الخطوة الخاصة بتدريب مئات الآلاف من المتطوعين الإسرائيليين الذين سيتبعون نفس أسلوب الإنجيليين وهو الانتقال من منزل إلى منزل لتحذير المواطنين الإسرائيليين من المبشرين المسيحيين الذى يرغبون فى تغيير ديانة الإسرائيليين وتحويلهم إلى المسيحية (٩١).

ويستعد أعضاء رابطة يد أحيم لمواجهة التبشير المسيحى خارجيًا وذلك من خلال مخاطبة رؤساء الكنائس الإنجيلية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومخاطبة أعضاء الكونجرس الأمريكى والشخصيات العامة فى أمريكا لتعريفهم أولاً بهذه القضية المهمة وللحصول على دعمهم لوقف النشاط التبشيرى المسيحى . وهم يسعون أيضًا إلى كتابة رسالة موجهة إلى زعماء الكنائس المسيحية موقعًا عليها من أعضاء الكونجرس وغيرهم من الشخصيات الأمريكية حتى يكون لها وزنها ، وتطالب هذه الرسالة بوقف النشاط التبشيرى الإنجيلى بين اليهود سواء فى إسرائيل وخارجها (٩٢).

أما فيما يتعلق بالمواجهة عن طريق الكنيست فإن رابطة يد أحيم تسعى إلى تمرير قانون يمنع القيام بالأنشطة التبشيرية بين اليهود ، ويمنع كل أشكال الدعاية لهذا النشاط التبشيرى . والغريب فى هذه المسألة هو موقف رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نيتانياهو الذى عارض تمرير هذا القانون فى الكنيست بهدف عدم إثارة غضب الإنجيليين وتهدئة زعمائهم . وقد أدت معارضة نيتانياهو لتمرير هذا القانون إلى إثارة غضب أعضاء رابطة يد أحيم على رئيس الوزراء ، وتبادلوا معه الرسائل . وقد طالب نيتانياهو بوضع قانون متوازن فى هذا الشأن ، والذى فسره أعضاء الرابطة بأنه طلب غير مفهوم وغير مقبول إذا كان القصد منه أن يسمح لكل من الإنجيليين واليهود بالقيام بالنشاط التبشيرى أى يقوم الإنجيليون بإدخال اليهود فى المسيحية ، ويقوم اليهود بإدخال المسيحيين فى اليهودية (٩٣).

ويقول أعضاء رابطة يد لحيم أن التوازن المطلوب هو منع كل أشكال الدعاية الدينية التى تخدم أهدافا تبشيرية ، وأن يكون هذا المنع عاماً بين كل الطوائف المختلفة المكونة للمجتمع الإسرائيلى وإلا فإن النتيجة ستكون مخيفة ، فإن الحرب ستندلع فى الشوارع إذا لم يتوقف النشاط التبشيرى المسيحى الإنجيلى . ويضرب زعماء الرابطة مثالاً على نوع الصراع الذى سينشأ بين الطوائف الدينية المختلفة فى حالة السماح بالدعاية الدينية والتبشير الدينى . فلو تصورنا مسلمًا يخطف مسيحيًا ويحاول إدخاله فى الإسلام أو تصورنا يهوديًا يحاول اختطاف مسيحيًا لإدخاله فى اليهودية ، أو تصورنا مسيحيًا يخطف يهوديًا لإدخاله فى المسيحية . فما الوضع الذى سيكون عليه المجتمع الإسرائيلى إذا تم السماح بالتبشير وهو مجتمع متعدد الأديان والطوائف الدينية ألا يؤدى هذا النشاط التبشيرى إلى كارثة مهددة لاستمرارية المجتمع الإسرائيلى ولأمنه (٩٤)؟ .

ازدادت مشكلة التبشير المسيحى الإنجيلى بين اليهود فى إسرائيل وخارج إسرائيل حدة بعد زيارة قام بها الحاخام ناتان بركان إلى إسرائيل. ويشغل ناتان وظيفة حاخام الطائفة اليهودية فى مدينة ريجا عاصمة لتفيا . وهدف زيارته إلى إسرائيل الحصول على مساعدة الإسرائيليين لمواجهة المبشرين المسيحيين الذين يقومون بنشاط تبشيرى كبير فى مدينة ريجا مستغلين الأوضاع الدينية السيئة لعشرين ألف مواطن يهودى يعيشون فى مدينة ريجا فى حالة حرب دينية مع المبشرين وعدد كبير منهم وقع فى كارثة الزواج المختلط مع غير اليهود وهى كارثة مهددة للوجود اليهودى فى لتفيا

ومن بين الأنشطة التى يقوم بها الإنجيليون فى لتفيا وبين اليهود هناك تنظيم مهرجانات مختلفة ، كان آخرها مهرجان للأطعمة الإسرائيلية ويقوم على هذا النشاط شخص يدعى أنه حاخام وهو ليس يهودياً وقد نجح هذا النشاط الإنجيلى فى تجنيد أعداداً من الشباب الذين يقومون بتوزيع رسائل دعائية دينية بوضعها داخل الصناديق البريدية للمنازل اليهودية . وقد فشلت جهود الحاخام ناتان بركان فى وقف هذا النشاط التبشيرى بين يهود بلده ومن هنا كانت زيارته إلى إسرائيل بحثاً عن المساعدة فى مواجهة هذا النشاط (٩٥)

ويثير حاخام مدينة ريجا فى لتفيا مشكلة مهمة من مشاكل التبشير المسيحى هناك وهى أن هؤلاء المبشرين طالبوا حكومة لتفيا بالحصول على مكانة رسمية كطائفة يهودية ، وأيضاً المطالبة بتعيين الحاخامات وإدارة المعابد اليهودية . ومعنى هذا العمل أن هذه الجماعات التبشيرية المسيحية تدّعى أنها جماعات يهودية ، وعلى الرغم من رفض حكومة لتفيا تلبية هذه المطالب فإن الإنجيليين يحاولون مزاحمة اليهود فى الهوية وذلك بادعاء أنهم يهود حتى يتمكنوا من العمل وسط الدوائر اليهودية دون مشاكل ويجب أن نذكر أن إحدى المحاكم الإسرائيلية قد أصدرت حكماً بأن هؤلاء المبشرين ليسوا يهوداً بمعنى أن هذه القضية كانت مثارة أيضاً داخل إسرائيل نفسها الأمر الذى أدى إلى إصدار هذا الحكم (٩٦).

والعجيب فى هذه المسألة هو موقف المسئولين فى إسرائيل تجاه هذا النشاط التبشيرى المحموم للإنجيليين إلى حد ادعاء اليهودية حتى

يتمكنوا من تنفيذ أغراضهم التبشيرية . وهو أمر ليس بالغريب فإن الجماعات المسيحية التبشيرية تستخدم كل الوسائل الممكنة وكل الحيل والخدع من أجل التبشير بين اليهود والمسلمين أيضاً . أما الموقف الرسمى الحكومى الإسرائيلى فهو موقف يتسم بالسلبية والتناقض ، فقد رأينا الموقف السلبى لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نيتانياهو وقصة القانون المتوازن الذى يريد أن يضعه بما يعنى أنه لايرى ضرراً فى العمل التبشيرى بين اليهود ، وأنه يجب أن يتوازن هذا مع عمل تبشيرى يهودى بين المسيحيين وهو رأى غامض تم تفسيره بهذا الشكل من قبل أعضاء رابطة يد أحيم .

ومن ناحية أخرى لاتشعر وزارة الأديان فى إسرائيل بخطورة النشاط الإنجيلى . أما لجنة مديرى العموم والخاصة باحتفالات عام ٢٠٠٠م فترى أنه لاتوجد ضرورة لمتابعة نشاط المبشرين، فالحجاج المسيحيون قادمون للزيارة وليس للتبشير . وفى حالة اكتشاف غير ذلك ستستعد اللجنة لمواجهة الأمر . أما الآن فلا ضرورة ولاخطر . إن اللجنة مشغولة بالمناسبة السياحية الألفية التى لاتتكرر إلا كل ألف سنة . وهى تعمل على تحقيق راحة الزوار القادمين بإعداد أماكن لاستقبال الفقراء منهم وإقامة مدينة من الأبنية المتواضعة لكى يقيموا بأسعار رخيصة ، ويبحثون إمكانية استخدام المطارات العسكرية لاستقبال المسيحيين القادمين لأن مطار بن جوريون لن يستوعب الأعداد الضخمة القادمة كما سيتم تطوير الطرق والمنافذ المؤدية إلى القدس والناصرة وبيت لحم والجليل ، إنهم لايشعرون بالخطر (٩٧).

موقف نيتانياهو فى ضوء التفكير الألفى :

عارض رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نيتانياهو مشروع قانون معروض على الكنيست الإسرائيلى يمنع الدعاية التبشيرية فى إسرائيل.

والسؤال المطروح بقوة هو لماذا يعارض رئيس الوزراء هذا المشروع ؟ هل يرغب رئيس الوزراء فى السماح بالتبشير بين اليهود ويتحول اليهود إلى المسيحية فى النهاية ؟ وهل يدخل ضمن رغبته فى السماح بالتبشير وعدم معارضته من خلال قانون أن يصبح للمسلمين أيضًا الحق فى القيام بأعمال الدعوة والتبليغ داخل إسرائيل وبين اليهود ؟ .

الإجابة على هذه التساؤلات بشكل مباشر تُعَد من الأمور الصعبة . فبالتأكيد رئيس الوزراء، لأنه يهودى ، فهو بالضرورة يرفض تحويل اليهود إلى أى دين آخر مسيحيًا كان أو إسلاميًا . وإذا قلنا أن رئيس الوزراء رجل علمانى لايهمه الدين فإنه كرئيس وزراء بلاشك حريص على الشكل اليهودى للدولة ، بصرف النظر عن هويته هو الدينية أو العلمانية ، ولا يرغب بالتأكيد فى تغيير الوضع الدينى للدولة .

المسألة إذن ليس لها تفسير إلا من خلال التعرف على حقيقة علاقة رئيس الوزراء نيتانياهو بالإنجيليين . إن الهدف الأساسى لنيتانياهو هو إرضاء الإنجيليين من خلال عدم الموافقة على تمرير قانون يمنع النشاط التبشيرى داخل إسرائيل(٩٨) ، ومعروف أساسًا أن الإنجيليين

من أهم المذاهب المسيحية النشطة فى مجال التبشير المسيحى داخل إسرائيل . والإنجيليون يمثلون أيضًا قوة مسيحية كبرى تكاد تكون مسيطرة سياسيًا على الأوضاع السياسية داخل الولايات المتحدة الأمريكية وقد ذكرنا سابقًا أن هذه الجماعة المسيحية تؤمن بالقدوم الثانى للمسيح وأن هذا لن يتم إلا بشرط جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . ولذلك تنزع هذه الحركة نزعة صهيونية ، فهى تشجع الهجرة إلى إسرائيل ، وتدعم السياسات الاستيطانية للحكومات الإسرائيلية وهى تؤيد رئيس الوزراء الإسرائيلى تأييداً كبيراً فى كل أعماله الساعية إلى تهويد القدس وتشجيع الهجرة وبناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة .

ولاتتوقف علاقة نيتانياهو بهذه الجماعات الإنجيلية عند هذه الحدود المشتركة بينه وبينهم ، ولكن من الأمور المجهولة نوعًا ما أن رئيس الوزراء بنيامين نيتانياهو يتمتع بمكانة خاصة عند الإنجيليين يمكن أن نسميها مكانة دينية . ونيتانياهو نفسه لم يصل إلى رئاسة الوزارة فى إسرائيل إلا من خلال دعم إنجيلى له يصل إلى حد التبنى ، فنيتانياهو محبوب الإنجيليين ووسيلتهم إلى تحقيق أهدافهم الدينية الإنجيلية ونعتقد أن معارضة رئيس الوزراء لقانون منع التبشير محاولة منه لإرضاء الإنجيليين ولو على حساب الإسرائيليين أنفسهم وعلى حساب الديانة اليهودية ذاتها .

وهنا يجب أن نشير إلى دور مهم للإنجيليين فى القدوم برئيس الوزراء نيتانياهو إلى الحكم وهو دور مجهول لاتعرفه إلا قلة من الإسرائيليين

وقد بدأ دور الإنجيليين مع نتنياهو منذ أن كان سفيراً لإسرائيل فى الأمم المتحدة فلقد وضع الإنجيليون عيونهم على نيتانياهو قبل أن ينتخب رئيساً للوزراء . ومنذ نصف عام قبل تولى نيتانياهو لرئاسة الوزارة ظهر نيتانياهو أمام منظمة عليا تضم عدة جماعات إنجيلية تحمل اسم أصوات متحدة من أجل إسرائيل Voices United for Israel .

ويشير نيتانياهو فى كتابه مكان تحت الشمس إلى أنه على معرفة بالمسيحيين الإنجيليين ، ويشير إلى المساعدات المسيحية لدفع الفكرة الصهيونية منذ عام ١٨٤١ وقبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول بخمسين عاماً .

وقد أقام نيتانياهو عدة صداقات قوية مع العديد من الشخصيات الإنجيلية المهمة . وفى عام ١٩٨٨م قابل بعض زعماء الإنجيليين . ومنذ عامين تقريباً قابل أعضاء منظمة «مسيحيون من أجل إسرائيل» Chris-tians for Israel وتم هذا اللقاء فى هولندا وبشكل سرى وقد انتظره أعضاء هذه المنظمة منذ الساعة الثالثة صباحًا ، وعندما وصل نيتانياهو قابلوه بحب ومودة وعاطفة شديدة وهم يبكون ويبدو عليهم التأثر الشديد ، وقد تشاجروا مع بعضهم البعض حول من منهم يحظى بتقديم نيتانياهو والجلوس بجواره (٩٩).

وواضح من هذا أن نيتانياهو يتمتع بمكانة معينة فى قلوب هؤلاء الإنجيليين فيا ترى ما طبيعة هذه المكانة وهل يمكن أن نصفها بأنها مكانة دينية ؟ .

والإجابة على هذا التساؤل نستمدها من سلوك الإنجيليين تجاه بنيامين نيتانياهو والذى تطور إلى اتجاه خطير بالنظر إلى نيتانياهو على أنه رسول مرسل من عند الله لتحقيق الخلاص وتتويج عيسى (عليه السلام) ملكاً . هذا يعنى أن الإنجيليين ينظرون إلى نيتانياهو نظرة دينية باعتباره المبعوث الإلهى لتحقيق هدف جمع الشتات اليهودى فى فلسطين ومن ثم تحقيق القدوم الثانى للمسيح .

وقد ألقى نيتانياهو خطاباً فى جمع من الإنجيليين فى يوم الثلاثاء ١٩٩٧/١٠/١٢م أمام مبنى قاعة المؤتمرات فى القدس ، وكان الحاضرون إنجيليين من جنسيات مختلفة من ألمانيا وأمريكا والبرازيل والفليبين وسنغافورة وغيرها . وقد حضر هؤلاء من بلادهم الاجتماع السنوى الذى تعقده السفارة المسيحية الدولية . وقد تم توجيه بعض الأسئلة إلى أشخاص من هذا الحضور . وكانت الأسئلة تدور حول نيتانياهو وكانت الإجابات على النحو التالى : إنه رسول من الله .... إن يد الله على وجهه .... وهو ابن اليد اليمنى لله .... إنه المقّدم أو المعْطى من الله ... وكانت بعض الأسئلة ذات طابع سياسى ينعكس على الأوضاع فى فلسطين ، وكانت الأجوبة على النحو التالى : إن الله أعطى هذه الأرض لنسل إبراهيم ولذلك فنحن نؤيد الاحتفاظ بها وعدم التفريط فى يهوذا والسامرة .... إن نيتانياهو صادق فلن يكون هناك سلام فى مقابل الأرض ولن يكون هناك سلام إلا فى مقابل السلام ... إن التوراة هى التى تحكم بشأن الأرض(١٠٠).

ويعتبر الإنجيليون وصول نيتانياهو إلى الحكم معجزة إلهية ويرددون عنه انه شخصية مسيحانية يوكمل سلسلة للملوك العظام منذ أيام داود وسليمان ويوصف نيتانياهو أيضاً بأنه الذى سيبنى الهيكل الثالث .

ويرى الإنجيليون أن الخلاص المرتقب لن يأت إلا بعد نشوب حرب كبرى لها نتائج مريعة ومدمرة ويطلقون على هذه الحرب اسم حرب ياجوج وماجوج ، وأن هذه الحرب أوشكت على الوقوع (١٠١).

ويربط الإنجيليون توقعاتهم الخلاصية ببعض أحداث الصراع العربى الإسرائيلى . فعندما نشبت مشكلة جبل أبو غنيم اعتقد الإنجيليون أن الحرب الكبرى المتوقعة ستندلع مع صعود البلدوزرات على جبل أبو غنيم وأن جبل أبو غنيم موقع ممتاز لبدء الحرب الكبرى.

ويرسم الإنجيليون الخطة التالية لوقوع الحرب الكبرى ويعطون نيتانياهو الدور الرئيسى فيها ، وخطة هذه الحرب على النحو التالى :

١ - تقوم إسرائيل بالبناء فى جبل أبو غنيم .

٢ - يقوم التحالف السورى الإيرانى العراقى بشن الهجوم .

٣ - ليس أمام إسرائيل سوى الضغط على عدة أزرار نووية فتقضى على أعدائها بالسلاح النووى .

٤ - تتشكل حكومة عالمية تحت زعامة يسوع المسيح وينتشر الأمن والسلام فى العالم .

٥ – لايوجد شخص سوى بنيامين نيتانياهو يملك الشجاعة والجرأة للضغط على زرار السلاح النووى . وهذه شجاعة لا يملكها بل كلينتون .

٦ – إذا لم تندلع الحرب الكبرى بسبب جبل « أبو غنيم » فستندلع لسبب أخر .

ويضيف الإنجيليون إلى هذه الصورة للحرب الكبرى ودور نيتانياهو فيها أن يوم القيامة على وشك القدوم ، وأن من علامات القيامة قيام دولة إسرائيل ، والنصر الإعجازى لإسرائيل فى حرب ١٩٦٧ . ومن علاماتها أيضًا الزلازل والكوارث الجوية ووفاة الأميرة ديانا(١٠٢) .

ويحاول بعض أشخاص من الإنجيليين الإسراع بالأحداث أو التعجيل بها من أجل تحقيق قدوم المسيح . ومن أهم الأمثلة على هذا قيام انجيلى استرالى بحرق المسجد الأقصى فى يوليو ١٩٦٩م حتى يخلى المنطقة لإعادة بناء الهيكل .

وهكذا يتضح أن الإنجيليين يبجلون بنيامين نيتانياهو إلى حد التقديس والنظر إليه كمبعوث إلهى لاستعجال تحقيق الخلاص وتتويج المسيح ملكًا ، ولاشك فى أن استخدام نيتانياهو بواسطة الإنجيليين هو نوع من أنواع الإسراع بالأحداث والتعجيل بقدوم المسيح .

أثر التفكير الألفى على المسيرة السلمية :

يمكن القول أن بنيامين نيتانياهو أصبح وسيلة فى يد الإنجيليين للإسراع والتعجيل بالأحداث المؤدية إلى تحقيق الخلاص والقدوم الثانى

للمسيح وتتويجه ملكاً . ونستشهد هنا بقول أحد الإنجيليين من أن نيتانياهو سوف يسجل اسمه فى التاريخ على أنه أفضل الزعماء العظماء فى تاريخ إسرائيل . لقد أوقف عملية السلام مع العرب وهو يحاول أن يكسب الوقت لتقوية جيش الدفاع الإسرائيلى حتى يقوم بالحرب الكبرى التى سيموت فيها الملايين .

ومن المعروف أن نيتانياهو على معرفة جيدة بهذا الحماس الإنجيلى نحوه . ونحن أمام عملية استغلال متبادل فالإنجيليون فى حاجة إلى نيتانياهو ونيتانياهو فى حاجة إلى الإنجيليين ، والكل يلعب بالنار أما حاجة الإنجيليين إليه فمعروفة فهو مجرد وسيلة للوصول إلى تحقيق الأهداف المرتبطة بالعقيدة الإنجيلية . وأعتقد أن نيتانياهو يعلم هذا ولكنه يشعر بأهمية الإنجيليين بالنسبة له شخصياً ، وبالنسبة لإسرائيل وأهدافها عموماً . أما أهميتهم عند نيتانياهو فتظهر فى الدور الذى لعبوه فى الوصول به إلى الحكم . فلقد وضعوا أعينهم عليه منذ أن كان سفيراً لإسرائيل فى الأمم المتحدة . أما الأهمية العامة للإنجيليين بالنسبة لإسرائيل فهم يؤيدون السياسة الإسرائيلية تأييداً تاماً ، ويدعمون سياسة نيتانياهو الخاصة بالاستيطان والهجرة لأن هذا هدفهم فى النهاية من جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . واليهود يعلمون تماماً أن ما يفعله الإنجيليون هو جزء من عقيدتهم ولكنه ليس كل العقيدة . بمعنى آخر أن عقيدة الإنجيليين فيها جانب إيجابى بالنسبة لإسرائيل واليهود ، وفيها جانب سلبى . أما الإيجابى فهو التقاء الصهيونية اليهودية مع الصهيونية المسيحية الإنجيلية فى مسألة

جمع الشتات اليهودى . ولذلك تستفيد إسرائيل من دعم الإنجيليين للنشاط الاستيطانى ، وسياسة التهجير والموقف العام للإنجيليين من قضية الصراع فى الشرق الأوسط . وتستفيد إسرائيل أيضًا من الدعم السياسى من أعضاء الكونجرس الأمريكى ، وعدد كبير منهم إنجيليون ، وهم يدعمون نقل السفارة الأمريكية إلى القدس ويؤيدون بقوة تهويد القدس ، والهجرة اليهودية إليها لأن كل هذه السياسات الإسرائيلية تؤدى إلى تحقيق الأهداف الدينية وهم يؤيدون أيضًا السياسات العسكرية لإسرائيل ، ويدفعون إسرائيل دفعًا إلى الحرب مع العرب . لأن الحرب الكبرى التى ينتظرونها ستؤدى إلى الدمار الشامل أو إلى حرب يأجوج ومأجوج كعلامة غيبية أو حشرية لقدوم المسيح(١٠٣) . ويؤيد الإنجيليون أيضًا سياسة تهويد القدس وزرع المستوطنات اليهودية داخلها وحولها لأن القدس هى المكان الذى سيظهر فيه المسيح بعد جمع الشتات اليهودى ، وهى أرض الهيكل الثالث وفيها ستحدث الحرب الكبرى

إن إنشاء إسرائيل وجمع الشتات اليهودى فيها يمثل فقط مرحلة من مراحل الاعتقاد المسيحى الإنجيلى ودولة إسرائيل هى أداة قدوم الخلاص المسيحى

أما الجانب السلبى الذى لايتحدث عنه أحد رغم العلم التام به فهو يتمثل فى الإجابة على السؤال التالى : لماذا يتم جمع الشتات اليهودى فى فلسطين ؟ والإجابة المسيحية الإنجيلية هى أن المسيح بعد قدومه

سيقوم بهداية اليهود وتحويلهم إلى المسيحية ويحكم بالموت على من لايتنصّر منهم . أى أن الهدف النهائى هو إدخال اليهود فى المسيحية

وعدم الاهتمام اليهودى والإسرائيلى بهذا الجانب السلبى فى العقيدة المسيحية الإنجيلية تعود إلى حقيقة واضحة وهى أن المسألة مرتبطة بأمور غيبية لا يعلمها إلا الله فمن يعلم إذا كان المسيح سيأتى أم لايأتى وإذا أتى فمن يدرى إن كان سيقوم بتحويل اليهود إلى دينه أم لا والمسألة عند اليهود لاتزيد عن كونها أسطورة مسيحية وخرافة إنجيلية ولذلك يجب التعامل مع واقع هذه الأسطورة وليس مع الجانب الغيبى فيها والواقع يقول أن الإنجيليين يحققون أهدافًا يهودية إسرائيلية فلماذا لايتم التعاون معهم واستغلال عقيدتهم بما يحقق المصالح اليهودية الإسرائيلية أما الجانب السلبى فهو فى علم الغيب وذلك على الرغم من أن اليهود لهم تفكيرهم المسيحانى الغيبى وهو شبيه بالمسيحانية فى المسيحية بل هو أصل لها فى الحقيقة ، فعقيدة المسيح المخلص عقيدة يهودية فى الأصل ولكن من أجل السياسة تهون العقيدة.

لقد وضحنا علاقة رئيس الوزراء نيتانياهو بالجماعة المسيحية الإنجيلية وركزنا على مكانته عند الإنجيليين والتى اتضح أنها مكانة عظيمة تصل إلى حد التقديس لشخص نيتانياهو والآن نطرح التساؤل التالى : ماهو تأثير سياسة الإنجيليين على نيتانياهو وهل تمثل هذه السياسة خطورة على السلام فى الشرق الأوسط ؟ وهل يمكن تفسير تعطيل نيتانياهو للعملية السلمية داخل إطار هذه العلاقة الرابطة بين الإنجيليين ونيتانياهو ؟ .

لقد تم نشر استطلاع فى شهر يونيو ١٩٩٨م بجريدة هاآرتس ومن بين أسئلته : لماذا طرح رئيس الحكومة الإسرائيلية فكرة إجراء استفتاء شعبى ؟ وأجاب ٥١٪ من المشتركين بأن الفكرة طرحها نيتانياهو لاستهلاك الوقت ، وقال ٥٪ بأنها استهلاك للوقت ولدفع العملية السلمية وهذا يعنى أن نسبة ٥٦٪ تعتقد أن المسألة مجرد استهلاك للوقت(١٠٤)

ولماذا يستهلك نيتانياهو الوقت ؟ هناك إجابة عربية جاهزة على هذا التساؤل وهو لعدم رغبته فى السلام وأيضاً لإتمام عمليات الاستيطان وبخاصة استيطان القدس وإتمام الحزام الاستيطانى حولها وهذه بلاشك إجابات سليمة يثبتها الظاهر من سياسة نيتانياهو . فكل شىء فى سياسة نيتانياهو يشير إلى أنه يستهلك الوقت وقد عطّل المسيرة السلمية لمدة عامين كاملين حتى الآن وأصبحت العملية السلمية تدور فى دائرة مفرغة

إن سياسة نيتانياهو أكثر تعقيداً مما نظنه وبها درجة كبيرة من الغموض وتنطوى على أسرار سياسية لايمكن الإعلان عنها وإلا فكيف نبرر هذا العناد الذى يبديه نيتانياهو ؟ وكيف نبرر هذا الإصرار على هدم كل الاتفاقات السابقة وتدمير كل التعهدات التى التزمت بها الحكومات الإسرائيلية السابقة ؟ وكيف نفسر سياسة عدم المبالاة التى يتعامل بها نيتانياهو مع كل الشخصيات السياسية المهمة فى العملية السلمية ؟ كيف نفسر عدم الوفاء بالعهود المتكررة التى أعطاها للرئيس محمد حسنى مبارك وللملك حسين ؟ وكيف نبرر عدم اكتراث نيتانياهو

بالرئيس كلينتون وجرأته الكبيرة فى عدم مقابلته للرئيس كلينتون وتعامله المباشر مع الكونجرس وزعمائه بدلاً من التعامل مع كلينتون ؟ من أين يأتى نيتانياهو بكل هذه الجرأة فى نقض الإتفاقات والمعاهدات ونقض كل الوعود التى وعدها ؟ ومن أين يأتى بهذه الشجاعة فى مواجهة كلينتون ؟ أما الفلسطينيون فليس لهم حساب عند نيتانياهو وحتى العمليات الفدائية لم يعد يعبأ بها وقد وقع فى بداية فترة حكمه أضخم انفجارين بالقدس وما ارتبط بهما من خسائر فى الأرواح . وهو أيضًا لا يأبه للخسائر الإسرائيلية على الساحة اللبنانية .

كل هذه التساؤلات ليست لها إجابة مباشرة وصريحة والمسألة ليست كما يعتقد الكثيرون أنها تعود إلى قلة الخبرة السياسية لدى نيتانياهو. أو عدم وجود خط سياسى واضح له . بالعكس لقد تمكن نيتانياهو من الاستمرار فى الحكم لمدة عامين واتضح أنه يسير على خط سياسى واضح لديه هو على الأقل .

إن التفسير الوحيد لسياسة نيتانياهو الغامضة يأتى من هذا الجانب الغامض فى علاقته بالإنجيليين ، إن سياسة اللامبالاة واستهلاك الوقت تحقق الكثير من الفوائد السياسية ولكن لايمكن أن تكون هذه سياسة دائمة وثابتة لرئيس حكومة إلا إذا كان هناك هدف لايتحقق إلا من خلال المماطلة والتسويف وتضييع الوقت واللامبالاة .

لقد وضع الإنجيليون فى اعتبارهم أن عام ٢٠٠٠م هو عام الحسم فيما يتعلق بعقيدتهم وهم يستعدون للدخول فى الألفية الثالثة مدفوعين

بحماسهم المسيحانى وبمشاعرهم الدينية القوية القائمة على أساس من الاعتقاد فى القدوم الثانى للمسيح بعد تمام جمع الشتات اليهودى فى فلسطين . وهم يستخدمون نيتانياهو من أجل الوصول إلى تحقيق هدف قدوم المسيح ويعتبرون نيتانياهو كما ذكرنا رسولاً مرسلاً لتحقيق الخلاص ولتتويج عيسى ملكا . ويعتبرون نيتانياهو بطلاً أسطوريا محققا لآمال الألفية الثالثة فى التفكير المسيحى الإنجيلى . ولذلك فهم يساعدون نيتانياهو بكل ما يمكنه من تحقيق أهدافهم ويؤيدون سياسته الاستيطانية وبخاصة فى القدس التى ستشهد من وجهة النظر الإنجيلية ظهور المسيح وقدومه الثانى . والإنجيليون أهل قوة ونفوذ فى الكونجرس الأمريكى وفى العديد من الدوائر السياسية الأوربية وبخاصة فى ألمانيا وفى بريطانيا وهما من أهم الدول الداعمة لإسرائيل ، وفى دعمهم لها شىء مرتبط بالعقيدة عندهم . ونيتانياهو يستغل كل هذا الدعم ضاربا عرض الحائط بالعرب والفلسطينيين وبكثير من اليهود أيضا .

الألفية دراما كبرى :

يعتبر بعض الكتاب الإسرائيليين الأحداث التى تقع الآن كإرهاصات للألفية الثالثة بأنها أشبه بدراما كبرى تتم صياغتها الآن وتركيب أحداثها لكى تؤدى فى النهاية إلى تحقق النبوؤات المرتبطة ببداية ألف جديدة فى عمر البشرية .

ونظرا لأهمية الألفية الثالثة فقد تم إنشاء مركز بحوث خاص بها تحت مسمى معهد أبحاث الألفية . وقد تم إنشاؤه منذ عامين فى مدينة

بوسطن الأمـريكيـة وتحت رئاسـة الـدكتـور ريتـشـارد لانـدس الأسـتـاذ بجامعة بوسطن ، وهو متخصص فى التاريخ .

وقد قـام هذا المؤرخ الأمـريكى بزيارة لإسـرائيـل خـلال شـهـر مـارس ١٩٩٨م وطالب الإسرائيليين بـضرورة الاستعـداد لأى احتمـال يقع خلال مناسـبة الألفـية . مـثل إمكانيـة قيـام جمـاهيـر غفيرة بالحج إلى القـدس وزيارتها ، ومن أسوأ الاحتمالات التى يتوقعها تدمير المساجد وإزالتها من الحرم القـدسى وذلك لإخلاء المكان لإقامـة الهيكل الثـالث والتعجـيل بقدوم نهـاية العـالم . ومن أول للسـاجد المطلـوب إزالتهـا فى هذه المدينة المسجـد الأقصى الذى يدعى اليمين اليهـودى المتطرف أنه مبنى على أنقاض الهيكل ولابد من إزالته لإقامة الهيكل الثالث على أنقاضه(١٠٥) .

ومن الواضح أن مدينة القدس ستكون المحور الرئيسى لأحداث الألفية الثـالثة إذ من المتـوقع حسب الاعـتقـاد السائد أن المسـيح سيـأتى مع بداية الألفية الجديدة .

وقد انتشرت فى إسرائيل وخارجها الجماعات الأصولية اليهودية التى تنشر التوقـعات المسيحـانية وتتنبأ بأن المسيح الدجـال عدو المسيح الذى سيأتى ويحاربه قبل نهاية العالم سوف يأتى فى عام ٢٠٠٠ . وتقول هذه التنبـؤات أو الإشـاعات بأن زعمـاءً مسيـحيين ووعـاظًا من أتبـاع الديانة المسيـحية سيـساعدون فى تحقيق هذه النبوؤات . وهناك جماعـة أخرى تتنبأ بأن شـعوب الاتحاد الشوفيـيتى سابقًا سـتدخل فى المسيـحيـة خلال العـامين القـادمين أى حـتى عـام ٢٠٠٠ وتسـتـعـد هذه الجـمـاعـة لإرسـال تبرعات تمكن من تحقيق هذا الهدف .

لقد كثرت التوقعات والتنبؤات المسيحانية المرتبطة بالعام ٢٠٠٠م وما سيحدث به من أحداث . وعلى الرغم من أن بعض الإسرائيليين واليهود خارج إسرائيل ينظرون إلى المسألة على أنها مجرد أساطير وخرافات ويعتبرونها مادة مسلية للقراء وفاصلاً كوميدياً يعترض المباحثات الخاصة بالمرحلة الثانية من الانسحاب ويعترض الخلاف الدائر حول الانسحاب من طرف واحد من لبنان . على الرغم من هذا فهناك من يعتقد فعلاً فى هذه الأمور ويساعد على تحقيقها .

ومن أهم المشاركين فى تنفيذ ما يلزم لتحقيق هذه النبوؤات جماعات مسيحية هى التى تخطط لهذه الأحداث المستقبلية ولهم حلفاء من اليهود يساعدونهم على تحقيق ذلك .

ويعتقد أصحاب هذا الرأى الأخير أن هناك إسرائيليين سوف يقومون بدور مهم فى هذه الدراما الكبرى . ولاشك فى أن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نيتانياهو سيكون من بين هؤلاء الإسرائيليين المساعدين للجماعات المسيحية واللاعبين لدور مهم وأساسى فى هذه اللعبة الكبيرة . إن شخصية نيتانياهو تحظى بالحب والقداسة بين الجماعات المسيحية الإنجيلية كأداة مهمة جداً لتحقيق معتقد هذه الجماعات الخاص بتعجيل قدوم المسيح

ويفسر المؤرخ الأميركى لاندس هذا التوجه لدى الجماعات المسيحية بقوله : يحدث مع كل ألف عام أن تظهر جماعات تؤمن بأن العالم سوف يتغير بشكل راديكالى وتعتقد هذه الجماعات بقرب قدوم مملكة الألف

عام عند المسيحيين ، وأن على المؤمن المسيحى أن يفعل مافى وسعه للتعجيل بقدوم هذه المملكة بصرف النظر عن طبيعة هذا الفعل طيبًا كان أو سيئًا(١٠٦). ولاشك فى أن الاستعانة بنيتانياهو رغم أنه يهودى شىء طيب لدى الإنجيليين طالما أنه سيساعد فى تحقيق هذه النبوؤات وواضح تمامًا أن سياسة نيتانياهو تسير فى هذا الاتجاه وإلا فكيف لنا أن نبرر سياسة تقوم من بدايتها إلى نهايتها على الكذب والخداع وعدم الوفاء بالوعود والخروج على كل المعاهدات وعدم الالتزام بالقانون الدولى ؟ .

لعل من أفضل المحللين الإسرائيليين لموضوع الألفية الثالثة والتنبؤات المسيحانية المرتبطة بها الكاتبة ليلى جليلى التى تعتقد أن هناك عددًا من المشاكل التى ستترتب على الألفية الثالثة وهناك أيضًا مشاكل ستنتج عن عدم تحقق النبوؤات المسيحانية وذلك على حسب تعبيرها عندما تتحطم الآمال ويبدأ التصارع مع الإحباط والفشل . فكلما اقترب تاريخ عام ٢٠٠٠ سينجرف إلى هذه العملية ليس فقط المصابون بالجنون ولكن سينجرف إليها أيضًا الكثيرون من أصحاب هذا الاتجاه من المسيحيين الصهاينة ... وتقول الكاتبة . ماذا يحدث عام ٢٠٠٠ عندما لايأتى المسيح المخلص حسب التنبؤات وحينما لا يتم بناء الهيكل الثالث كما يعتقد المسيحيون الإنجيليون وكما يأمل اليهود والإسرائيليون وبخاصة المتدينين منهم والمتشددين على وجه الخصوص وماذا سيحدث إذا لم تنشب حرب يأجوج ومأجوج حسب اعتقادات الإنجيليين ؟

وتقول الكاتبة إننى قلقة جداً لأن خيبة الأمل (وأضيف من عندى خيبة الأمل الدينية) من الممكن أن تولّد ردود فعل غير متوقعة . إن السيناريو المرسوم يسير حتى الآن حسب تعبير الكاتبة بدون مشاكل وطبقاً للتصور الخاص بنهاية الأيام ويدخل ضمن السيناريو اغتيال اسحاق رابين وانتخاب بنيامين نيتانياهو رئيساً للحكومة (١٠٧).

ويبدو أن المسألة بدأت تكسب أرضية جديدة وبدأت فى الظهور كتابات تتنبأ بما سيحدث ومن أهمها كتاب بعنوان بداية النهاية للواعظ الإنجيلى چون هايجى ، والكتاب له عنوان فرعى مُعبر عن جزء من هذا السيناريو . فالعنوان الفرعى هو اغتيال رابين ومجىء المسيح الدجال . ويدعى الواعظ الإنجيلى أن عملية السلام فى الشرق الأوسط سوف تؤدى إلى أعنف حرب عرفتها المنطقة وأن بعد هذه الحرب سيتحقق مجىء المسيح .

ولعل من أهم ماورد فى هذا الكتاب المعلومات التى تشير إلى علاقة نيتانياهو بالمسيحية الإنجيلية وفكرها الصهيونى حيث يذكر الكتاب الاجتماع الذى تم بين نيتانياهو والواعظ الإنجيلى هايجى فى شهر يناير الماضى ضمن لقاء تم مع قيادات المذهب الإنجيلى وثارت فيه العديد من الخلافات .

أما عن دور نيتانياهو فى المخطط المسيحى الإنجيلى فهو أن بعض الجماعات المسيحية المتطرفة اعتقدت أن المسيح الدجال الذى سيسيطر على الحرم القدسى سيكون يهودياً وسوف تنشب حرب يأجوج

وماجوج، وسوف ينتج عنها سحق أكثر من ثلثى يهود العالم بعد أن يتم جمعهم فى فلسطين أما الثلث الأخير فسيتم إدخاله فى المسيحية بعد هدايتهم على يد المسيح.

ويعتبر نيتانياهو بطل هذه المرحلة وعليه أن يلعب الدور المطلوب منه وذلك بالمساعدة فى إقامة الهيكل الثالث حتى لايتحول إلى عنصر سلبى فى هذه الدراما الكبيرة (١٠٨).

وتشير المخاوف أيضًا إلى إمكانية وصول أعداد كبيرة تبلغ عشرات الآلاف إلى إسرائيل ليسوا من السياح العاديين ، ولكنهم حجاج ووعاظ ومبشرون يؤمنون بهذه الرؤية الخاصة بنهاية الأيام ، وهم يتوقعون مجىء المسيح على جبل الزيتون . وكثير منهم لن يعود إلى بلده اعتقادًا منهم أنه لاتوجد عودة فبعد مجىء المسيح من سيعود وإلى أين يعود ؟ .

والمتوقع بطبيعة الحال أن تزداد خيبة الأمل مع عدم قدوم المسيح ، والجانب اليهودى أصلاً له مشاعره الخاصة بالألفية وله اعتقاداته ، ولابد من حدوث صراعات وخلافات نتيجة لتضارب المشاعر الدينية بين اليهود والمسيحيين الإنجيليين . ثم هناك مشكلة السيطرة على هذه الجماعات الدينية المدفوعة بمشاعرها الدينية المتحمسة لنهاية الأيام ؛ كيف يمكن للشرطى الإسرائيلى أن يسيطر على جماعات من المؤمنين بقدوم المسيح يتدفقون إلى الحرم القدسى . وماذا سيحدث إذا لم يطع الحجاج المسيحيون أوامر الشرطة . إن المسائل كلها مثيرة للقلق فى جو متشبع بالتنبؤات ومهيأ لحدوث معجزات . ولا أحد يعرف إلى أين ينتهى

هذا السيناريو وما هى نتائجه النهائية . فالمسألة مثيرة للقلق إلى أبعد حد ممكن . وفى ظل هذا كله لايعتد أحد بالمسلمين ولا بالفلسطينيين وكأنهم طرف غائب فى الدراما أو ليس له دور فيها .

دولة فلسطين فى إطار التفكير الألفى :

من المعروف أن ياسر عرفات قد أعلن عن أن دولة فلسطين سيتم الإعلان عن قيامها فى عام ١٩٩٩م . ومن الملاحظ أن عام ١٩٩٩م يأتى فى نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة . وقد أثار هذا الإعلان عن موعد قيام دولة فلسطين حفيظة نيتانياهو وحكومته ، وتوعّد الفلسطينيين وحذرهم من القيام بهذه الخطوة كرد فعل سياسى من الحكومة الإسرائيلية تجاه هذا الحدث المنتظر .

وينظر بعض المفكرين الإسرائيليين إلى هذا الحدث ليس من منظور سياسى فقط ولكن يعتبرونه من أهم الأحداث المرتبطة بالتفكير الألفى أى التفكير المرتبط بالألفية الجديدة(١٠٩) . فكما أن التفكير المسيحى الأصولى ينتظر قيام مملكة الرب بعد القدوم الثانى للمسيح ، وكما أن التفكير المسيحانى اليهودى يتوقع قدوم المسيح المخلص الذى لم يأت بعد حسب الفكر اليهودى ، فإنه على نفس هذا الخط من التفكير ينظر البعض إلى إعلان قيام الدولة الفلسطينية فى عام ١٩٩٩م على أنه أمر مرتبط بالدخول فى الألفية الثالثة مثله تماما مثل فكرة قيام مملكة الرب فى المسيحية الأصولية أو قدوم المسيح المنتظر فى اليهودية ، وإن كانت المسألة فى اليهودية لم تعد مرتبطة بقيام مملكة أو دولة لأن الدولة قامت

بالفعل ، وقيامها هذا كان نتيجة من نتائج استعجال الخلاص ، وعدم انتظار المسيح المخلص لكى يأتى ويقيم المملكة. ولكن من الممكن اعتبار قيام دولة إسرائيل فى نهاية القرن العشرين وقبل الدخول فى الألفية الثالثة على أنه من الأحداث المرتبطة بهذه الألفية على الرغم مما حدث من استعجال صهيونى لإنشاء الدولة بعيداً عن مفهوم الخلاص التقليدى فى اليهودية

الجديد فى المسألة هنا هو إدخال فكرة قيام دولة فلسطين فى عام ١٩٩٩م ضمن هذا التفكير الألفى العام الذى سيطر على العقل اليهودى والمسيحى ويجب أن نشير هنا إلى أن المسألة هنا ليست إسلامية بمعنى أنه لم يكن المسلمون هم الذين ربطوا فكرة قيام دولة فلسطين بالتفكير الألفى بل إن الذين قاموا بعملية الربط هم مفكرون يهود أو ربما مسيحيون مع محاولة البحث عن تبرير إسلامى بعيد عن تفكير المسلمين أنفسهم حيث لايوجد تفكير ألفى فى الإسلام أصلاً .

يقول الأستاذ الدكتور ريتشارد لاندز الأستاذ بجامعة بوسطن ورئيس معهد أبحاث الألفية الثالثة والذى تم إنشاؤه فى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة أحداث الألفية الثالثة ودراستها وتحليلها إن عام ١٩٩٩م من المقرر أن يكون العام الذى سيعلن فيه ياسر عرفات قيام دولة فلسطينية وهذا الحدث من الممكن أن يثير ردود أفعال خاصة مرتبطة برؤية نهاية الأيام بين يهود ومسلمين على السواء وبأشكال لم تتضح حتى الآن علاقتها بالمشهد الأكبر لرؤيا نهاية

الأيام (١١٠) . وواضح أن مصطلح نهاية الأيام هنا مصطلح دينى يهودى يقوم على أساس أن المسيح المخلص المنتظر لدى اليهود سيأتى فى نهاية الأيام أى فى نهاية التاريخ ليحقق الخلاص لليهود من مضطهديهم ويجمع شتاتهم ويقيم لهم مملكة أو يستعيد لهم المملكة التى ضاعت . ويعتقد الدكتور لاندز أن قيام دولة فلسطينية فى هذا العام المحدد وهو ١٩٩٩م لن يتم خارج إطار التفكير الألفى بمعنى أن صداماً سيحدث بين اليهود والمسلمين ، ونضيف من عندنا والمسيحيين أيضاً لأن كل فريق له مملكته أو دولته التى ستنشأ ، وإن هذه الممالك لاشك ستصطدم ببعضها البعض ، لأنها أولاً ستظهر فى أرض واحدة هى أرض فلسطين ولأنها تنتمى إلى ديانات ثلاث مختلفة ، وكلها تدعى الأرض والمملكة لنفسها . وهو يقول أن هذه الصورة لم تتضح بعد ولكن من المنتظر أن يثير إعلان قيام دولة فلسطين ردود فعل من هذا النوع .

ولتصحيح هذه الصورة عربياً وإسلامياً نقول إن المسلمين أولاً ليس لديهم تفكير ألفى لأن هذا التفكير مرتبط فى اليهودية والمسيحية بعقيدة المسيح المخلص ، وهى ليست عقيدة أساسية فى الإسلام . وقد ورد عنها بعض الأحاديث النبوية كأمر غيبى فيما يعرف بالمسيح الدجال وهو كأمر غيبى واجب الإيمان به ولكن لايكوّن عقيدة عند المسلم كما هو الحال فى اليهودية والمسيحية فليس من أركان الإيمان فى الإسلام الاعتقاد فى قدوم مسيح مخلص ولكنه من الغيبيات أو الأمور الغيبية المرتبطة بشروط قيام الساعة ، وهو ظهور المسيح الدجال . والأمر الثانى أن دولة فلسطين كانت موجودة بالفعل قبل خمسين عاماً . وإعلانها أو قيامها فى

عام ١٩٩٩م أو فى أى عام آخر ليس مرتبطًا باعتقادات ألفية إنما ظهورها سيكون نتيجة كفاح وصراع مع الصهيونية لمدة طويلة سنتهى بقيام هذه الدولة على جزء من أرضها القديمة وبجوار دولة يهودية قامت بالفعل ليس تحقيقًا للتفكير ألفى ولكن نتيجة لضعف عربى وتآمر غربى وصهيونى ، أى لأسباب سياسية واقعية ليست لها علاقة بأفكار ألفية لم تلتزم بها الصهيونية نفسها وهى المسئولة عن قيام إسرائيل بدون مسيح مخلص .

يقوم معهد أبحاث الألفية أو معهد بحوث التفكير الألفى الذى أنشىء فى بوسطن خصيصًا لمتابعة أحداث الألفية الثالثة بدراسة الظواهر المرتبطة بأحداث نهاية الألفية الثانية والدخول فى الألفية الثالثة . وهو بهذا الشكل يعتبر مركزًا للدراسات المستقبلية ، أى أنه مركز للتنبؤات يدرس ويحلل الظواهر اللازمة لنهاية ألفية وبداية ألفية جديدة .

ويعتبر هذا المركز قيام دولة فلسطينية فى ١٩٩٩م من الأحداث أو الظواهر المرتبطة بالألفية وعلى الرغم من أن هذه المراكز يوجد فى بوسطن لكنه دخل فى علاقات مع معهد القدس للأبحاث الإسرائيلية من أجل دعم هذه الدراسات المستقبلية والتنبؤ بما يحدث ، وتقديم النصيحة بما يجب فعله أو الاستعدادات التى يجب أن تتخذها إسرائيل خلال سنوات نهاية وبداية الألفية . ويشترك المعهدان فى بحث مشترك حول قدوم المسيح والآثار التى يمكن أن تنتج عن هذا الاعتقاد من الجانب اليهودى والمسيحى والإسلامى والنصائح التى يمكن تقديمها للحكومة الإسرائيلية فى هذا الشأن .

ومن أهم النصائح التى قدمها رئيس معهد بحوث الألفية للحكومة الإسرائيلية ما يلى

١ ضرورة فتح قناة أو قنوات للحوار مع المسيحيين جميعاً سواء الذين يعتقدون فى القدوم الثانى للمسيح أو الذين لايعتقدون فى ذلك وهذا الحوار المفتوح مع المسيحيين هدفه مستقبلاً هو تجنب أى أحداث مستقبلية قد تؤدى إلى حدوث ردود فعل مسيحية معادية لسامية حسب التعبير اليهودى والمعنى المقصود هنا هو أنه فى حالة دخول الألفية الثالثة وعدم تحقق مجيء المسيح فربما ينمو لدى الجماعات المسيحية التى ستأتى لزيارة إسرائيل أو لدى المسيحيين فى الخارج مشاعر بالعداء لليهود أو كراهيتهم إذا فشلت التنبؤات والآمال المسيحانية التى تتزايد مع قرب الدخول فى الألفية الثالثة ولذلك يجب أن يتعمق الحوار مع المسيحيين وتقوى الصلات حتى لايحدث رد فعل عكسى مضاد نتيجة عدم تحقق الآمال المسيحانية المنتظرة (١١١)

٢ النصيحة الثانية المقدمة إلى الحكومة الإسرائيلية تختص بالمسجد الأقصى وبالفلسطينيين فلكى يتم منع أية محاولة لنسف المسجد الأقصى من أجل إقامة الهيكل الثالث فلابد من التعاون مع الفلسطينيين حتى لاتحدث كوارث كبرى لايمكن منعها ولعل المقصود من هذه النصيحة الثانية الإشارة إلى أن المسجد الأقصى سيكون خلال الفترة القادمة ومع دخول الألفية الجديدة بؤرة للصراع حيث سيتصارع عليه اليهود المتطرفون دينياً والذين يسعون إلى هدم المسجد الأقصى لإقامة الهيكل الثالث وهو جزء أساسى من أفكارهم المسيحانية المرتبطة بالألفية كما سيتصارع عليه المسيحيون الأصوليون لأن القدس

بكاملها تمثل المسرح الذى ستحدث فيه أحداث الألفية من جمع للشتات اليهودى وهداية اليهود إلى المسيحية وقيام الملكة . ومن ناحية ثالثة القدس بلد عربى إسلامى ولن يتركه الفلسطينيون والعرب بل والمسلمون خلال فترة الصراع الشديد هذه . فمن المتوقع أنهم سيدافعون عن المسجد الأقصى وعن القدس على أساس دينى . إن مستقبل القدس سيدخل فى مرحلة حاسمة مع الدخول فى الألفية الثالثة(١١٢) .

ويقول رئيس معهد بحوث الألفية إن هناك شوقًا عارمًا إلى قدوم المسيح وسوف ينفجر هذا الشوق بين عامى ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ وسوف يؤدى هذا الانفجار إلى حدوث توتر أمنى شديد ويجب توقع حدوث كوارث وعمليات تخريبية يقوم بها المتطرفون الكبار هكذا بدون تحديد لهوية المتطرفين الكبار .

ويقلل دافيد بر إيلان المسئول عن شعبة الإعلام والسياسة فى مكتب رئيس الوزراء نيتانياهو والمسئول عن العلاقات مع الجاليات المسيحية ... يقلل من شأن هذا التفكير المسيحانى بقوله أنا أتحدث كثيرًا مع هؤلاء الناس ولم أسمع ولم أر ولم أشم رائحة مثل هذا الكلام . ربما تكون المشكلة بشكل عام مشكلة الباحث الذى سوف يخيب أمله تمامًا إذا لم يحدث شىء (١١٣).

وهو رد نعتبره متجاهلاً للحقائق من رجل مسئوليته العلاقات مع الجماعات المسيحية الأصولية ، وهو يعرف تمامًا طبيعة تفكير هذه الجماعات ، ويدخل فى مسئوليته كيفية استغلال الفكر المسيحى الأصولى لصالح الصهيونية وإسرائيل .



الحواشي :

١ – محمد خليفة حسن : تاريخ الديانة اليهودية ، دار قباء ١٩٩٨ .

٢ – انظر مثلاً : Abraham Katsch, Judaism in Islam .

٣ – محمد محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .

وانظر أيضًا د. محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط٣، ١٩٨٥ .

٤ – محمد خليفة حسن : تاريخ الأديان ، دراسة وصفية مقارنة ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

٥ – محمد خليفة حسن : الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى. مطبوعات مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد (٤) ١٩٩٨م ، ص٢٠ – ٢٥ .

وانظر : د. رشاد الشامي ، القوي الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت (١٨٦) ، ١٩٩٤ ص٥٣ – ٥٦ .

٦ – سفر التكوين ، الإصحاح ١٥ :١٨ – ٢٠ .

٧ – الإمام عبد الحليم محمود : أوربا والإسلام ، دار المعارف . القاهرة . ط ٣ . ١٩٨٦ . ص١٠٣ – ١٠٥ .

وانظر : أليكس جورافسكي : الإسلام والمسيحية . ترجمة خلف الجراد . سلسلة عالم المعرفة . العدد ٢١٥ عام ١٩٩٦ . ص ٢٨ .

٨ – John Espodito, The Threat of Islam.

وانظر : صموئيل هنتجنتون : تصادم الحضارات أم حوار الحضارات . عرض د. عبد العزيز حمودة . الهلال . أغسطس ١٩٩٣ ، ص ٨ – ١٦ .

٩ - باروخ كيمرلينج : حرب ثقافات . مقال منشور بجريدة هآرتس ١٩٩٧/٦/٧ . ومترجم في مجلة الدراسات الفلسطينية . العدد ٢٧ . صيف ١٩٩٦ ، ص ١٠٥ .

١٠ - الانتخابات الإسرائيلية . وثائق تأليف الحكومة والنتائج والبرامج الانتخابية . إعداد أحمد خليفة وسمير حراص وهاني عبد الله . مجلة الدراسات الفلسطينية . العدد ٢٧ عام ١٩٩٦ . ص ٨٦ - ٨٧ .

١١ - المرجع السابق .

١٢ - سفر يشوع ١ : ١ - ٧ وانظر أيضاً يشوع ٨ : ١ - ٢٨ صموئيل الأول ١٨ : ٧ - ٩ ، القضاة ٨ : ٢٧ - ٣١ .

١٣ - سفر التثنية ٢٠ : ١٠ - ١٧ .

١٤ - نداف سرجاي : إقامة منطقة لتربية أطفال لكهنة للمعبد قرب القدس . جريدة هآرتس ١٩٩٨/٣/١ .

١٥ - المرجع السابق .

١٦ - المرجع السابق .

١٧ - المرجع السابق .

١٨ - نداف سرجاي : كهنة في المعبد . جريدة هآرتس ١٩٩٨/٣/١ .

١٩ - سفر العدد ١٩ : ١-٥،٩ . وانظر تفاصيل قصة البقرة في المشنا في : مصطفي عبد المعبود . التطهير في التشريع اليهودى من خلال المشنا . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٩٩ .

٢٠ - محمد خليفة حسن : التفكير الألفي وتأثيره علي العلاقات اليهودية المسيحية الإسلامية وعلي العملية السلمية ، رسالة المشرق ، مركز الدرسات الشرقية ، جامعة القاهرة ١٩٩٦م .

٢١ - سورة البقرة ٦٧ - ٧١ .

٢٢ – جريدة هآرتس : استطلاع للرأى حول مستقبل العملية السلمية بتاريخ ١٩٩٧/٩/٤ .

٢٣ – المرجع السابق .

٢٤ – المرجع السابق .

٢٥ – المرجع السابق .

٢٦ – المرجع السابق .

٢٧ – عن الحريديم (اليهود المتشددون دينيًا) انظر د. رشاد الشامي ، القوي الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، ص ١٣٠ – ١٣٨ ، ٣٠١ – ٣١٢ .

٢٨ – شحر إيلان : القانون توصية فحسب . جريدة هآرتس ٢٧٠/٤/١٩٩٨.

٢٩ – المرجع السابق .

٣٠ – المرجع السابق .

٣١ – رون بن يشي . سلاح حراسة من الحريديم . جريدة يديعوت أحرونوت ١٩٩٨/٦/١٥ .

٣٢ – يهوشع فورت : جريدة معاريف ١٩٩٨/٣/٤ .

٣٣ – المرجع السابق .

٣٤ – سلاح حراسة من الحريديم : يديعوت ١٩٩٨/٦/١٥ .

٣٥ – المرجع السابق .

٣٦ – المرجع السابق .

٣٧ – المرجع السابق .

٣٨ – يديعوت ١٩٩٨/٦/٧ .

٣٩ – المرجع السابق .

٤٠ – المرجع السابق .

٤١ – طولي بيكرس : جريدة هتسوفيه ١٨/١/١٩٩٨ .

٤٢ – هتسوفيه ٢٠/٦/١٩٩٧ .

٤٣ – المرجع السابق .

٤٤ – استطلاع للرأي بجريدة هتسوفيه ١٨/١/١٩٩٨ .

٤٥ – محمد خليفة حسن : الشخصية الإسرائيلية . دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام . مركز الدراسات الشرقية . جامعة القاهرة . سلسلة دراسات تاريخية ودينية . العدد (٢) ١٩٩٨ . ص ٧٤ .

٤٦ – المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

٤٧ – محمد خليفة حسن : التفكير الألفي .

٤٨ – أفيفا أفيف : المجتمع الإسرائيلي . ترجمة د. محمد أحمد صالح . مراجعة د. محمد أبو غدير . مركز الدراسات الشرقية . جامعة القاهرة . سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية . العدد (٦) ١٩٩٨ . ص ٢٢ .

٤٩ – المرجع السابق . ص ٢٣ – ٢٤ . وانظر أيضًا : رشاد الشامي : القوي الدينية في إسرائيل ، ص ٥٣ .

٥٠ – المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٥١ – المرجع السابق . ص ٢٦ .

٥٢ – المرجع السابق . ص ٢٧ . وانظر أيضًا د. عبد الوهاب المسيري : من هو اليهودي ؟ دار الشروق القاهرة ١٩٩٨ .

وانظر أيضًا : Israel Shahak, Jewish History, Jewish Religion, Pluto Press, London . 1994, p. 4-5 .

٥٣ – حملة جديدة من الإثارة . جريدة هتسوفيه ٤/٦/٢٩٩٦ وانظر أيضًا يوسف لابيد : انفلات اجتماعي . جريدة معاريف ٢/٦/ ١٩٩٦ . وكذلك مقال دوف الفويم : هل يوجد سبب لقلق العلمانيين . جريدة يديعوت احرونوت

٣/٦/١٩٩٦ . وانظر أيضًا د. رشاد الشامي . القوي الدينية في إسرائيل . ص ٦٣ .

٥٤ - المجتمع الإسرائيلي . ص ٣٤ - ٣٥ . وانظر أيضًا : محمد خليفة حسن . الحركة الصهيونية . طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي . ص ٧٩ - ٩٥ .

٥٥ - الحركة الصهيونية . ص ٧٧ - ٧٩ .

٥٦ - الصهيونية الدينية : مدخل تاريخي . تحرير أنيتا شابيرا . ترجمة د. محمد محمود أبو غدير ، القاهرة . سلسلة الدراسات التاريخية ، العدد٣، مارس ١٩٩٨ . مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة .

٥٧ - المجتمع الإسرائيلي . ص ٣٧ - ٣٨ .

٥٨ - المجتمع الإسرائيلي . ص ٤٤ - ٤٦ .

٥٩ - باروخ كيمرلنج : حرب الثقافات . هآرتس ٧/٦/١٩٩٦ . الترجمة العربية بمجلة الدراسات الفلسطينية . العدد (٢٧) ١٩٩٦ .

٦٠ - المجتمع الإسرائيلي . ص ٥٠ - ٥١ .

٦١ - جريدة معاريف : يولو ١٩٩٦ .

٦٢ - خليل التفكجي : تهويد القدس ، حقائق وأرقام ، ، مجلة الدراسات الفسطينية العدد ٢٢ ربيع ١٩٩٥م .

٦٣ - استفدنا فى حصر هذه الممارسات من بحث الأستاذ فايز فهد جابر وعنوانه ، الاستيطان الإسرائيلي والمستوطنات الإسرائيلية في مدينة القدس ، ، وهو بحث ألقي في ندوة ، القدس في العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، ، والتي عقدت في جامعة الأزهر بتاريخ ٢٩/٦/١٩٩٦م ، وانظر أيضًا : إبراهيم أبو حليوه - القدس : الممارسات الإسرائيلية في ضوء أحكام القانون الدولي . مجلة شئون الأوسط العدد ٦٢ مايو ١٩٩٧ ، ص ١٢٦ - ١٣٤ .

٦٤ – فايز فهد جابر : المرجع السابق ص ٩ .

٦٥ – المرجع السابق ص ٩ .

٦٦ – المرجع السابق ص ١٠ .

٦٧ – المرجع السابق ص ١٠ .

٦٨ – المرجع السابق ص ١١ .

٦٩ – المرجع السابق ص ١٢ .

٧٠ – المرجع السابق ص ١٣ .

٧١ – الترحيل السري : إلغاء إقامة الفلسطينيين في القدس الشرقية : تقرير أعده مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأرض المحتلة . مجلة الدراسات الفلسطينية . العدد ٣١ ، ١٩٩٧ م ، ص ١٢٧ .

٧٢ – المرجع السابق ص ١٢٧ .

٧٣ – المرجع السابق ص ١٢٨ .

٧٤ – المرجع السابق ص ١٣١ .

٧٥ – سيد عبد المجيد : الفلسطينيون – الانتفاضة . مجلة شئون فلسطين العدد ٢٠٠ عام ١٩٨٩ ، ص ١٠٧ – ١١٣ ، وانظر في آثار الانتفاضة : زئيف شيف وأهود يعاري . انتفاضة . ترجمة عن العبرية . دافيد سجيف . تل أبيب ١٩٩٠م .

76 - Rev. L.H. Walz. " the Protestant Faith and the problem of Israel and Jerusalem" in Jerusalem, the key to world peace, Islamic council of Europe, 1980, p. 4, 15 .

٧٧ – وليد الخالدي ، الإسلام والغرب والقدس ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد ٣١ صيف ١٩٩٧ ، ص ٤ .

٧٨ – زياد العسلي : الدراسات الصهيونية للحركة الصليبية . عرض عاد في كتاب يوم القدس أبحاث الندوة الثانية أكتوبر ١٩٩١ م ، عمان مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٢٨ .

٧٩ - جريدة هاآرتس ١٩٩٧/٦/١٧ ، ص ٢ ب .

٨٠ - خليل التفكجي : الاستيطان في مدينة القدس : الأهداف والنتائج ، ندوة القدس ، جامعة الأزهر ١٩٩٦/٦/٢٩ ، ص ١٣ .

٨١ - الترحيل السري : مرجع سابق ص ١٢٨ - ١٢٩ .

٨٢ - جريدة هاآرتس ١٩٩٧/٦/١٧، ص ٢ ب .

٨٣ - طولى بيكرش : الخطر القادم ، غزو المبشرين لأرض إسرائيل عام ٢٠٠٠م. جريدة هتسوفيه ١٩٩٧/١٢/٥. ص ٦ .

٨٤ - المرجع السابق ص ٦ .

٨٥ - المرجع السابق ص ٦ .

٨٦ - المرجع السابق ص ٦ .

٨٧ - محمد خليفة حسن ، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى . مطبوعات مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد (٤) ١٩٩٨م ، ص٢٢ .

٨٨ - المرجع السابق ص ٢٣ .

٨٩ - البابا ومعاداة السامية . جريدة هاآرتس ١٩٩٧/١١/٢م ، ص ١ .

٩٠ - المرجع السابق ص ١ .

٩١ - الخطر القادم ، جريدة هتسوفيه ص ٦ .

٩٢ - المرجع السابق ص ٦ .

٩٣ - المرجع السابق ص ٦ .

٩٤ - المرجع السابق ص ٦ .

٩٥ - المرجع السابق ص ٦ .

٩٦ - المرجع السابق ص ٦ .

٩٧ – المرجع السابق ص ٦ .

٩٨ – المرجع السابق ص ٦ .

٩٩ – محمد خليفة حسن : شخصية نيتانياهو فى الصهيونية المسيحية . مجلة رسالة المشرق . مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة المجلد الرابع ص ٥١٠ .

١٠٠ – المرجع السابق ص ٥١٠ .

١٠١ – انظر فى هذا الموضوع : جريس هالسل . النبوؤة والسياسة . الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية ، ترجمة محمد السماك . طرابلس ١٩٩٠م .

١٠٢ – شخصية نيتانياهو فى الصهيونية المسيحية ص ٥١١ .

١٠٣ – النبؤوة والسياسة ، وبخاصة الفصل الذى يحمل عنوان ، التحريض على الحرب المقدسة ، ص ١٠٣ – ١٢٠ .

١٠٤ – جريدة هاآرتس . استطلاع للرأى بعنوان : يؤيدون الاستفتاء الشعبى مؤشر السلام يونيو ١٩٩٨م نشر بتاريخ ١٩٩٨/٧/٥م ص ٢ .

١٠٥ – ليلى جليلى : الأغنية القادمة ، جريدة هاآرتس ١٩٩٨/٤/٢٦م ص ٢ .

١٠٦ – المرجع السابق ص ٢ .

١٠٧ – المرجع السابق ص ٢ .

١٠٨ – المرجع السابق ص ٢ .

١٠٩ – المرجع السابق ص ٢ .

١١٠ – المرجع السابق ص ٢ .

١١١ – المرجع السابق ص ٢ .

١١٢ – المرجع السابق ص ٢ .

١١٣ – المرجع السابق ص ٢ .

إصدارات المركز :

اولا السلسلة الدينية والتاريخية

١- ظاهرة النبوة الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٢- الحساب القومى	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٣- الشخصية الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٤- الصهيونية الدينية	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٥- الحركة الصهيونية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٦- المجتمع الإسرائيلى	ترجمة د. / محمد أحمد صالح
٧- اسلام حقائق اور الزامات	ترجمة د. / يوسف عامر
٨- البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٩- اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية فى اللغة الأردية	تأليف أ.د / سمير عبد الحميد إبراهيم
١٠- الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر	تأليف أ.د/محمد خليفة حسن والأستاذ النبوى سراج
١١- سياسة إسرائيل فى طرد السكان العرب	ترجمة وتعليق د محمد أحمد صالح
١٢- الرموز الدينية فى اليهودية	تأليف أ.د/ رشاد عبد الله الشامى
١٣- الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى الحاضر والمستقبل	تأليف أ.د/ أحمد فؤاد متولى د. هويدا محمد فهمى
١٤- المشكلة الكردية	ترجمة وتعليق / أ.د محمد علاء الدين منصو
١٥- الصراع الدينى العلمانى داخل الجيش الإسرائيلى	تأليف أ.د/ محمد محمود أبو غدير
١٦- الأقليات المسلمه والصراعات فى الكومنولث	تأليف د. / هويدا محمد فهمى

١٧- مستوطنة معالية أدوميم وانتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى — ترجمة د. / عبد الوهاب محمود وهب الله

١٨- يهود مصر «دراسة فى الموقف السياسى» — تأليف د. / محمود عبد الظاهر .

١٩- فلسفة الحرب فى الفكر الدينى الإسرائيلى — تأليف أ.د/ محمد جلاء إدريس

٢٠- التركمان بين الماضى والحاضر — ترجمة أ.د/ عبد العزيز محمد عوض الله

٢١- اليهودية — تأليف أ.د. محمد بحر عبد المجيد .

٢٢- حرب أكتوبر وأزمة المخابرات الإسرائيلية — ترجمة من العبرية أ.د. محمد محمود أبو غدير.

٢٣- مستقبل الصراع على فلسطين — تأليف د.عبد الله بن عبد الرحمن الربيعى

٢٤- الحياة الحزبية فى تركيا — تأليف أ.د. / عبد العزيز عوض

٢٥- دراسات فى جنيزا القاهرة — ترجمة أ. النبوى جبر سراج

٢٦- فيروس التعصب — ترجمة أ.د./ عبد الوهاب وهب الله

٢٧- اليهودية العلمانية — ترجمة د. / أحمد كامل راوى

٢٨- علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية فى مصادر التوراة الحالية — تأليف أ.د / محمد خليفة حسن

٢٩ - التطور الديمقراطى فى تركيا الحديثة والمعاصرة — تأليف أ.د/ الصفصافى أحمد المرسى

٣٠- المكابيون الثالث والرابع — ترجمة د./ اوفيليا فايز رياض

٣١ - انتهاكات حقوق الفلسطينيين — ترجمة د. نجلاء رأفت

٣٢ - اليهودية : رؤية فى الصراع بين العلمانية والدين — ترجمة : د. أحمد كامل راوى

ثانيا: السلسلة الأدبية واللغوية

١- جامع التعريب	تحقيق وشرح نصوص أونال قره أرسلان
٢- أدب المهجر الشرقى	تأليف د. / محمد عبد الرحمن الربيّع
٣- الكلام والفكر والشىء	ترجمة د. / محمد صالح الضالع
٤- قاموس المختصرات العبرية	إعداد د. / شعبان محمد سلام
٥- الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية	نقله إلى العربية د./ أحمد محمود هويدى
٦- حكايات أيسوبوس	ترجمة ودراسة د./ صلاح محجوب
٧- المسرح الإيرانى	تأليف / د. عبد الوهاب علوب .
٨- الأدب الفارسى عند يهود إيران	ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٩- معجم المصطلحات الفلسفية	إعداد / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
١٠- الشخصية الفلسطينية فى القصة العبرية القصيرة	تأليف أ.د/ محمود على صميدة
١١- ضمير الشأن مسائله ومواطنه	تأليف : د.فاطمة عبد الرحمن رمضان
١٢ - المعجم التأصيلى للفعل الناقص فى اللغات السامية	إعداد أ.د. عمر صابر عبد الجليل
١٣ - النظام الصوتى للغة العبرية دراسة وصفية	تأليف د. حامد بن أحمد بن سعد الشنبرى
١٤ - قضايا لغوية مقارنة بين الفارسية والعربية	تأليف أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
١٥ - النظام الصوتى فى اللغتين العربية والعبرية دراسة وصفية تطبيقية مقارنة	تأليف د. حامد بن أحمد بن سعد الشنبرى

ثالثا: فضل الإسلام على اليهود واليهودية

١- اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية	تأليف أ.د/ عطية القوصى
٢- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية	ترجمة أ.د/ محمد سالم الجرح
٣ - المحاضرة والمذاكرة	نقله إلى العربية أ.د/ عبد الرازق قنديل
٤- التأثيرات العربية فى البلاغة العربية	تأليف أ.د.شعبان محمد سلام
٥- الشعر العبرى الأندلسى	تأليف أ.د. عبد الرازق أحمد قنديل
٦ - الإيقاع الشعرى	تأليف أ.د. ليلى إبراهيم أبو المجد
٧- التأثير الإسلامى فى التفاسير اليهودية الوسيطة	ترجمة أ.د. أحمد هويدى مراجعة أ.د/محمد خليفة حسن
٨ - التأثير الإسلامى فى الفكر الدينى عند طائفة القرائين	تأليف أ.د. محمد جلاء إدريس
٩ - الآراء الكلامية لموسى بن ميمون والأثر الإسلامى فيها	تأليف د. حسن حسن كامل إبراهيم
١٠ - التأثيرات العربية فى كتاب الهداية لابن فاقودة	تأليف أ.د. عبد الرازق أحمد قنديل
١١ - التأثيرات العربية فى البحور والأوزان العبرية	تأليف أ.د. شعبان محمد سلام

رابعا: سلسلة قضايا إيرانية

١- قضايا إيرانية (العدد الأول)	إعداد أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٢- التقرير الاستراتيجى الإيرانى (العدد الثانى)	تحرير وإشراف د. مدحت أحمد حماد

٣- بحر الخزر المشاكل السياسية والاقتصادية	إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٤- حوار الحضارات وجهة نظر إيرانية	إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٥- بحوث فى العلاقات الإيرانية الخارجية	ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٦ - أحداث الحادى عشر من سبتمبر وجهة نظر إيرانية	إشراف أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

خامساً: سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات

١- حوار الحضارات وجهة نظر إيرانية	إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٢- المسلمون والحوار الحضارى مع الآخر : نقد إسلامى لنظرية صراع الحضارات.	تأليف / أ.د. محمد خليفة حسن
٣- علاقة الإسلام بالأديان الأخرى .	تأليف / أ.د . محمد خليفة حسن
٤ - الدور المصرى والإيرانى فى مجال حوار الحضارات	تأليف / أ.د محمد السعيد جمال الدين

سادساً: مجلة رسالة المشرق

الأعداد :

الأول ١٩٩١ حتى الخامس عشر ٢٠٠٥

رقم الإيداع	٩٩/١٤٦٠١
الترقيم الدولى	I.S.B.N.977- 223- 367- 3